الى قسطنطين بتروفيتش بياتنيتسكي
م . غوركي

الحضيض

مشاهد في اربعة فصول

بدأ غوركي بكتابة هذه المسرحية في ديسمبر ١٩٠٠ . وجرى اول عرض لهـا في ١٨ ديسمبـر ١٩٠٢ ، في مسرح موسكو الفني .

الشخصيات

ميخائيل ايفانوفيتش كوستيليوف ، ٤٥ عاماً ، صاحب دار للسكنى .
فاسيليزا كاربوفنا ، ٢٦ عاماً ، زوج ميخائيل .
ناتاشا ، ٢٠ عاماً ، شقيقتها .
ميدفيديف ، ٥٠ عاماً ، عمها ، شرطي .
فاسكا (فاسيا) بيبيل ، ٢٨ عاماً .
أندري ميتريتش كليش ، ٤٠ عاماً ، صانع أقفال .
آنا ، ٣٠ عاماً ، زوج أندري .
ناستيا ، ٢٤ عاماً ، عاهرة .
كفاشنيا ، امرأة في حوالي الأربعين تبيع ال«بلميني» .
بوبنوف ، ٤٥ عاماً ، صانع قبعات .
البارون ، ٣٣ عاماً .
ساتين | في حوالي
الممثل | الاربعين من العمر
لوكا ، ٦٠ عاماً ، أفاق .
أليوشكا ، ٢٠ عاماً ، اسكافي .
كريفوي زوب | حمالان
التتري |
عدة أفاقين صامتين لا أسماء لهم .

KMH

الفصل الأول

قبو اشبه ما يكون بالكهف ، سوّد الدخان سقفه المقبّب وتساقط الجص في بعض نواحيه . النور ينبثق من المتفرجين وينحدر من اعلى الى اسفل من نافذة مربعة الشكل تقوم الى اليمين . وثمة فاصل رقيق يفصل الزاوية اليمنى من المسرح الى غرفة تخصّ بيبيل ، وبالقرب من بابها تنتصب دكـــة خشبية لبوبنوف . مدفأة روسية ضخمة تشغل الزاويـــة اليسرى . والى اليسار باب في حائط حجري يؤدي الى المطهى حيث تعيش كفاشنيا ، والبارون ، وناستيـــا . . . سرير عريض قائم خلف ستار من خرقة قطنية وسخة ، ملتصقـــاً بالحائط بين المدفأة وذلـــك الباب . ودكك من الأخشاب تصطف على طول الجدران . وفي مقدمة المسرح كتلة خشبية كبيرة عليها ملزمة حديديـة وسندان صغير . وخلف هذا السندان ، على كتلة مماثلة لكن أوطأ ، يقبع كليش وهو يجرّب ادخال بعض المفاتيح في قفل عتيق بين يديه . وقد تبعثرت على الأرض حواليه حلقتان معدنيتان تضمان مفاتيح شتى من مختلف القياسات ، وسماور محطم من الصفيـــح ، ومطرقة ومبارد . أما وسط المسكن فتشغله طاولة كبيرة ، ومقعدان خشبيان ، وكرسي لا مسند له ، وجميعها قذرة غير مدهونة . كفاشنيا تجلس الى الطاولة منهمكـــة في شؤون السماور ، والبارون يمضغ قطعة من الخبز الاسود ، وناستيا تجلس على كرسي لا مسند له مرتفقة المائدة تقرأ كتابـــاً

ممزقاً . صوت آنا يدندن من خلف ستـــــار السرير وهــي تسعل . بوبنوف متربع على دكته وبين ركبتيه قالب خشبي لقبعة ، يحاول أن يضع عليه عدة شرائط من بنطال مفتق عتيق ويفكر في اسلوب تفصيل القبعة ، والى الأمام منه علبة كارتون ممزقة لحفظ القبعة فيها حافات القبعات وقطع مـــن المشمع وقصاصات قماش . ساتين الذي أفاق لتوّه يضطجع على دكته يدمدم . الممثل يسعـــــل ويتململـــــل على ظهر المدفأة * ، لا يراه النظارة .

الوقت صباح يوم من ايام
الربيع الاولى .

البارون : ثم ماذا ؟

كفاشنيا : وقلت له : لا ، يا عزيزي ، إبعد عني وانت تريد ان تفعل ذلك . وقلتُ : سبـــــق لي فجرّبت هذا الشيء ، فلن أعقد الزواج مرة ثانية حتى ولا لقاء مائة سرطان نهري مشوى !

بوبنوف (الى ساتين) : فيم تزمجر هكذا ؟

(ساتين يدمدم من جديد)

* المدفأة الروسية مبنية بشكل متسع بحيث يكفي سطحها لاستخدامه كسرير . **(المترجم)** .

كفاشنيا : وقلت أيضاً : أنا ، المرأة الحرة الطليقة ، صاحبة نفسي ، أذهب وأسجّل نفسي في جـــواز شخص آخر كيما أصبح أمـــة رجل ما — لا وحياتـــك ! لا ! أبداً ! وان يكن أميراً أميركياً نفسه لن أتزوجه أبداً !

كليش : هذا كذب صراح !

كفاشنيا : ما . . . ا . . ذا ؟

كليش : هذا كذب فاضح . لسوف تتزوجين أبرام !

البارون (يختطف كتاب ناستيـــا ويقرأ العنوان) : «الحب القاتل» (يضحك)

ناستيا (تمد يدها لتأخـــذ الكتاب) : هات ، رُدّه اليّ ! تعال ! كفى هذراً !

(البارون ينظر اليها ويغيظها بتلويح الكتاب في الفضاء)

كفاشنيا (الى كليش) : أنت تيس عجـــوز أحمر الشعر ، وتقول : كذب صراح ! كيف تجرؤ على اهانتي هكذا ؟ !

البارون (يضرب ناستيا بالكتاب على رأسها) : أنت حمقاء ، يا ناستيا !

ناستيا (تختطف منه الكتاب) : أعطنيه !

كليش : يا للسيدة الرائعة ! لكنـــك ستتزوجين أبرام في الحال ! هذا كل ما تنتظرين !

كفاشنيا : نعم ، بالطبع ! وكيف لا ! تلك الطريقـة التي سقتَ بها زوجتك الى شبه الموت . . .

كليش : اخرسي يا كلبة عجوزة ! ليس هذا من شأنك !

كفاشنيا : أو — هو ! لستَ تحبُّ سماع الحقيقة !
البارون : لقد شرعا في القتال ! ناستيا ، أين أنت ؟
ناستيا (دون أن ترفع رأسها) : ماذا ؟ اتركني !
آنا (تطل برأسها من خلف الستار) : بدأ النهار ! فبحق اللّه . . . لا تصيحوا . لا تتشاجروا !
كليش : ها هي بدأت عويلها !
آنا : يتكرر هذا في كلّ نهار . دعوني أمت في طمأنينة وراحة على الأقل !
بوبنوف : الضجيج لا يعرقل الموت . . .
كفاشنيا (تذهب صوب آنا) : كيف تقوين على الحياة مع هذا العفريت ، يا حبيبتي المسكينة ؟
آنا : اتركيني وشأني . اذهبي عني .
كفاشنيا : وَيْ ! يا للصابرة ! أصدرك أكثر راحة اليوم ؟
البارون : كفاشنيا ! حان وقت الذهاب الى السوق !
كفاشنيا : دقيقة واحدة فقط! (الى آنا) أفلا تريدين بعض «البلميني» * الحارة الطيبة ؟
آنا : لا أريدها . . . شكراً . أيفيدني اكلها ؟
كفاشنيا : جرّبيها فقط . طيبة حارة ، وستخفف من حدة سعالك . سأترك لك منها في هذا الطاس فتأكلينها وقتما تشعرين برغبة في ذلك . هيا يا سيدي ! (الى

---

* بلميني — نوع من فطائر صغيرة جداً باللحم . يأكلونها مسلوقة . **الناشر** .

كليش) بر ---ر--ر ! يالـــك من غول ! (تخرج الى المطهي) .
آنا (وهي تسعل) : أواه ، يا رب !
البارون (يدفع رأس ناستيا بلطف) : دعيك من هذا ، أيتها الحمقاء !
ناستيا (مجمجمة) : اتركني . . . انا لا أزعجك .

(البارون يصفر لحناً ، وهو يخرج في أعقاب كفاشنيا) .

ساتين (ينهض نفسه في دكته) : من ضربني ليلة البارحة ؟
بوبنوف : وأي فارق في ذلك عندك ؟
ساتين : لا فارق . لكن ، لماذا ضربوني ؟
بوبنوف : أكنت تلعب الورق ؟
ساتين : نعم .
بوبنوف : اذن ، لهذا السبب ضربوك . . .
ساتين : يا للأوغاد !
الممثل (يطل برأسه من سطح المدفأة) : سيضربونـك حتى الموت في يوم من الأيام .
ساتين : أنت حمار .
الممثل : لماذا ؟
ساتين : لأنه لا يمكن قتل المرء مرتين .
الممثل (بعد فترة صمت) : لا أفهم . . . لماذا لا يمكن هذا ؟
كليش (الى الممثل) : اهبط عن هذه المدفأة ورتّب المكان . لماذا انت مرتخ حتى هذا الوقت ؟

الممثل : ليس هذا من شأنك .

كليش : مهلاً حتى تجيء فاسيليزا . وسترينك مـن شأن مَنْ هذا !

الممثل : الى قاع الجحيم ، فاسيليزا هذه ! هو دور البارون في التنظيف اليوم . يا بارون !

البارون (داخلاً من المطهى) : لا وقت عندي للتنظيف . فأنا ذاهب الى السوق صحبة كفاشنيا .

الممثل : ليس هذا من شأني . في استطاعتك المضي ولو الى الاشغال الشاقة ، لكنه دورك في مسح الأرض . فلن أعمل بدلاً عن الآخرين .

البارون : فلتذهب أنت الى الجحيم ! لسوف تمسح ناستيـا الأرض . هاي ، أنت ، أيها «الحب القاتل» ! استيقظي ! (يختطف الكتاب منها)

ناستيا (وهي تنهض) : ماذا تريد ؟ أعطنيه ! يا لك مـن مشاكس ! وتسمّي نفسك سيداً . . .

البارون (يناولها الكتاب) : امسحي الأرض عني ، يا ناستيا . اتفقنا ؟

ناستيا (تمضي الى المطهـى) : آه ، طبعاً ! . . هذا هو المطلوب !

كفاشنيا (على باب المطهى ، موجهة الحديث الى البارون) : تعال ! سينظفون المكان من دونك . هاي ، أنت ، أيها الممثل ! انهم يرجون ذلك منك ، فكن لطيفاً . ذلك لن يقصف ظهرك !

الممثل : َهه ْ . . دائماً أنا . لست أفهم لماذا . . .

البارون (يدخل من باب المطهى وعلى كتفيه نير خشبي تتدلى منـــه سلتّان تحويان جرّتين مستورتين بخروق) : الحِمْلُ أثقل من المعتاد اليوم .

ساتين : ذلك يستحق أن توُلد باروناً . . .

كفاشنيا (الى الممثل) : هيا أنت ، لا تنس ان تمسح الأرض ! (تخرج عبْرَ الممرّ ، وتفسح مجالاً للبارون للانطلاق قبله)

الممثل (يهبط عـــن المدفأة) : استنشاق الغبار يؤذيني . (بفخـــر واعتزاز) لقد تسمّم جسمـــي بالكحــــول . (يستغرق في التأمل وهو جالس على دكته .)

ساتين : جسمك . . . العطونة . . .

آنا : أندري ميتريتش . . .

كليش : ماذا تبغين الآن ؟

آنا : لقد تركت لي كفاشنيا بعض البلميني . خذها وكلها . .

كليش (يتجه نحوها) : وأنت ؟ أفلا تريدينها ؟

آنا : كلا . فيم آكل ؟ بيد أنك رجل عامل . أنـــت تحتاج الى طعام .

كليش : أخائفة أنت ؟ لا تخافي . فمن يعلم . . . لربما . . .

آنا: هيا كلها ! فانا سيئة الحال . . . أحسب أن ذلك لن يتأخر بعد الآن .

كليش (مبتعداً عنها) : لا تبالي . قد تتحسّن صحتك . . . ذلك يحدث أحياناً . (يذهب الى المطهى)

الممثل (بصوت عال ، وكانما استفاق بغتة) : البارحة قال لي

الطبيب في العيادة : تسمّم جسمك بالكحول تماماً .
هذا ما قال لي .
ساتين (مبتسماً) : العطونة .
الممثل (باصرار) : ليس عطونة ، بل الجسم . . .
ساتين : سيقمبر * . . .
الممثل (ملوّحاً بيده في اتجاهه) : بلاهة ! لكنني أتحدث جاداً . بلى ، اني جاد ! اذا تسمّم جسمي ، من المؤذي اذن أن أمسح الأرض ، أن أستنشق ذلك الغبار . . .
ساتين : ماكروبيوتيك * * . . . هه !
بوبنوف : ما هذا الذي تدمدم به ؟
ساتين : كلمات . ثم هنالك تلك . . . الصورية .
بوبنوف : وما معنى هذا ؟
ساتين : لا أدري . لقد نسيت .
بوبنوف : اذن فيمَ قلتَ ذلك ؟
ساتين : لمجرد القول ، ليس غير . لقد سئمتُ من سائر تلك الكلمات التي يستعملها البشر ، يا أخي . سئمت من سائر كلماتنا ! سمعتها جميعاً أكثر من ألف مرة !

---

* قبيلة المانية قديمة كانت تعيش على ضفاف نهر الراين . **الناشر** .

* * علم عن اطالة الحياة . من مؤسسيه الطبيب الالماني هوفيلاند (١٧٦٨–١٨٣٦) وكان عنوان كتابه المترجم الى الروسية والمكرس لاطالة الحياة هو «ماكروبيوتيك» . **الناشر** .

الممثل : يقولون في «هملت» : «كلمـــات ، كلمـــات ، كلمات !» . تلك مسرحية رائعة ! مثّلت فيهـــا دور حفّار القبور .

كليش (يدخل من باب المطهى) : ومتى ستبدأ بتمثيل دور ماسح الأرض ؟

الممثل : وما شأنك بهـذا ! (يضرب صدره) «أوفيليـــا ! اذكريني في ابتهالاتك !»

(من مكان بعيد تدفُ جلبة أصوات ، وصراخ ، وصفير أنفار من الشرطة . يجلس كليش للعمـــل ،مثيراً ضجيجاً خشناً بمبرده)

ساتين : أحب الكلمات الشاذة الغريبة ، المستعصية عـــلى الفهم . عندما كنت صبياً ، أعمل في مكتب للبرق ، طالعتُ كثيراً .

بوبنوف : أكنت عامل برق أيضاً ؟

ساتين : نعم . (يطلق ضحكة صغيرة .) هناك بعض الكتب الرائعة . وكمية عظيمة من الكلمات الغريبـــة المثيرة للفضول . كنت ذات يوم شخصاً رفيع الثقافة . هل تعرف ذلك ؟

بوبنوف : سمعتُه مئات المرات . وماذا اذا كنت كما تقول ؟ لا أهمية لهذا ! خذني ، أنا ، مثلاً . لقد كنت فرّاء مرة ، أملك دكاناً خاصة بي . وكانت يداي مغرقتين في الصفرة دائماً من جرّاء صبغ الفراء – يداي وذراعاي جميعاً ، حتى المرفقين تماماً . وكنت أعتقد أنهمـــا

سيبقيان صفراوين على ذلك الغرار حتى يوم وفاتي .
وحسبت أني سأموت بتينـك الذراعين الصفراوين .
أنظر اليهما الآن . وسختان تماماً ، ليس غير . َهه ْ !

ساتين : حسنا ، وماذا في ذلك ؟

بوبنوف : لا شيء . هذا كل شيء .

ساتين : ما كان مغزى حديثك بالضبط ؟

بوبنوف : لا شيء على وجه التعيين . تلك كانت مجرد فكرة . يتضح أنك مهما دهنتَ الخارج وصبغتـه بعناية ، فسرعان ما يمحَّي كلـه . يمحَّي بأجمعه . َهه ْ !

ساتين : آه ، لكم تؤلمني عظامي !

الممثل (يجلس محتضناً ركبتيه) : الثقافـة لا تعني شيئاً ، الاهم هو الموهبة . تعرفت مرة الى ممثل لا يتمكن من قراءة دوره الا بتهّجي المقاطع ، وعندما يمثـل كان المسرح يهتز ويموج من فرط اعجاب النّظارة .

ساتين : بوبنوف ، أقرضني خمسة كوبيكات !

بوبنوف : لا أملك سوى كوبيكين .

الممثل : أقول لك أن الموهبة هي ما تحتاج اليـه لتصير ممثلاً . والموهبة تعني الأيمان بنفسك ، بكفاءتك .

ساتين : أعطني خمسة كوبيكات وسأؤمن بأنك نابغة عبقرى ، بطل ، تمساح . أنك ضابط شرطة . كليش ، أعطني خمسة كوبيكات !

كليش : اذهب الى الشيطان ! في الجوار كثيرون من أمثالك .

ساتين : فيمَ الشتم والتجديف ؟ أدري أنك لا تحمل كوبيكاً واحداً ملكاً حلالاً لك .

آنا : أندري ميتريتش . . . من الصعب أن أتنفّس . . . الجو خانق .

كليش : وماذا تتوقعين مني أن أفعل اذن ؟

بوبنوف : افتح باب الممرّ .

كليش : عظيم ! أنت تتربّع هنالك في العالي على دكتك ، وأنا أتجوّر على الأرض ههنا . هيا نتبادل مكانينا ، وافتحِ الباب عـلى هواك . اني أحسّ البرد والباب مغلق .

بوبنوف (بهدوء) : لست أنا من يريد الباب أن ُيفتح . تلك زوجتك تطلب ذلك .

كليش (باكتئاب) : هناك أشياء لا حصر لها في استطاعة المرء أن يطلبها .

ساتين : يا لراسي كيف يطن ويدوّي ! لمَ ينبغي للناس أن يؤذوا بعضهم بعضاً على الرأس ؟

بوبنوف : ليس على الرأس فحسب ، بل على كل المساحـة الباقية من البدن . (ينهض) أنا ذاهـب لابتياع قليل من الخيطان . ُترى ، ما الذي يعوق صاحب الدار وزوجته عن المجيء حتى الآن هذا اليوم ؟ لعلهما ماتا . (يخرج)

(آنا تسعـــل . ساتين يضطجـــع بدون حراك ويداه تحت راسه)

الممثل (يتطلع حوله بصورة بائســـة ثم يتقدم من آنا) : احالتك سيئة ؟

آنا : الجو خانق جداً .

الممثل : سأصحبك الى الممرّ خارجاً ، اذا شئتِ . هيــا انهضي . (يساعدها على النهوض ، ثم يلقــي بعض الأسمال على كتفيها ، ويقودها الى الخارج .) تعالي ، تعالي . . . تابري ! أنا الآخر مريض . . . متسمّم بالكحول .

كوستيليوف (على عتبة الباب) : أخارجان في نزهة ؟ مــا أجمل الاثنين ، الحمل والنعجة !

الممثل : تنحَّ عن الطريق ! أفلا ترى ان مريضين يسيران !

كوستيليوف : تفضل سر . . . (يهمهم بلحن كنسي من خلال أنفه ، ويرنو بريبة في أرجاء المسكن ، وينحي رأسه الى اليسار وكأنما يرهف السمع الى شيء ما في غرفة بيبيل . كليش يخشخش بمفاتيحه في خبث ، ويشتغل بمبرده في صرير ، وهو يراقــب حركات سيد الدار من تحت حاجبيه المنخفضين) أيصرّ حديدك ؟

كليش : ماذا ؟

كوستيليوف : أقول : أيصرّ حديـــدك ؟ (صمت .) هم — م . . . والآن ، ماذا كنت أريد أن أسأل ؟ (يتحدث بسرعة بصوت مخفوض) هل جاءت زوجي الى هنا ؟

كليش : لم أرها .

كوستيليوف (يسترق الخطا في اتجاه الباب المؤدي الى غرفة بيبيل) : أنت تشغل مساحة واسعة عندي لقاء روبلين اثنين في الشهر ! سرير وبقعة تجلس فيهــا أيضاً . هِمْ — م . . . هذه البقعة تستحق خمسة روبلات على

الأقل ، وشرفي ! يجب أن نضيف عليها نصف روبـــل آخر .

كليش : أضف اليها أنشوطة واخنقني حتى أموت ! تَقِفُ على عتبة الموت ، وما تبرح تتصوَّر كيف تبتز نصف روبل آخر !

كوستيليوف : وفيمَ أخنقك ؟ مَنْ يستفيد من هذا ؟ استمرّ على العيش حسب هواك ، وليكن اللّه في عونك . لكنني سأضيف هذا النصف روبل الزائد على كل حال . سوف أشتري قليلاً من الزيت لقنديل أيقونتي ، وأحرقه أمام الصورة المقدسة ، ذبيحة تكفير عن خطاياي ، وخطاياك أيضاً . فأنت لا تفكر في خطاياك أبداً ، آه ، انك انسان خبيث ، يا أندريوشكا ! ولقد يبست زوجتك بسبب من دناءتك وحقارتك . ليس من يستلطفك ، وليس مَنْ يحترمك . أبداً يصرّ حديدك هذا ، ضارباً على أعصاب الجميع دون تفريق . . .

كليش (يصيح) : هل جئـــت الي لتسمّم حياتي ليس غير ؟

(ساتين يزمجر بصوت عال)

كوستيليوف (ينتفض) : الرحمة ، أيها الرجل الطيب . . .

الممثل (يدخل) : لقد أقعدتها خارجاً في الممرّ ، ولففتهـــا جيداً .

كوستيليوف : ان بين جوانحك قلباً حنوناً ، يا أخي . ذلك شيء حسن . ولسوف يضاف الى حسابك .

الممثل : متى ؟

كوستيليوف : في العالم الآخر ، يا أخي . هنالك كل شيء بحساب ، وكل عمل مهما يكن صغيراً .

الممثل : لعلك تكافئني على لطفي ههنا بالضبط ، وفي الحال .

كوستيليوف : كيف أفعل ذلك ؟

الممثل : بأن تشطب نصف ما لَكَ عليَّ من دين .

كوستيليوف : وَيْ ! وَيْ ! انك لا تزال تمزح يا عزيزي كأنما القلب الطيب يكافأ بالمال ! الطيبة أرفع النعم والبركات ! لكن الدَّيْن دين ، وهذا يعني أن وفاءه واجب . أما ذلك اللطف الذي أظهرته تجاه رجل عجوز مثلي ، فيجب الا تبحث عن مكافأة عليه !

الممثل : انك محتال ، ايها العجوز ! . . (يدلف الى المطهى)

(ينهض كليش ويخرج الى الممر)

كوستيليوف (الى ساتين) : المصرصر هذا . . . لقد هرب . وَيْ ، وَيْ ! انه لا يحبني .

ساتين : ومن يستطيع سوى الشيطان أن يحبك ؟

كوستيليوف (هازلاً) : يا لك من مولع بالشتائم ! أما أنا ، فأحبكم جميعاً حباً جماً . أنا اعرف يا اخوتي الساقطين المساكين التعســـاء . . . (فجأة ، وبسرعـــة) . . . فاسكا – أهو في البيت ؟

ساتين : اذهب وانظر .

كوستيليوف (يتجه الى الباب ويقرعه) : فاسيا !

(يظهر الممثل على باب المطهى يمضغ شيئاً)

بيبيل : من هناك ؟
كوستيليوف : انا . انا يا فاسيا .
بيبيل : ماذا تريد ؟
كوستيليوف (يتحرك مبتعداً) : إفتح الباب .
ساتين (دون أن يتطلّع الى كوستيليوف) : سيفتح الباب ، فاذا هي هنالك .

(الممثل ينفخ بمنخره)

كوستيليوف (في صوت مخفوض ، قلقاً) : ماذا ؟ من هناك ؟ ماذا قلتَ ؟
ساتين : أتخاطبني ؟
كوستيليوف : ماذا قلتَ ؟
ساتين : لا شيء على التعيين . كنت أحدث نفسي .
كوستيليوف : حذار ، يا أخي ! ولكن للنكتة حدودها . . . اجل ! (يقرع الباب بشدة .) فاسيا !
بيبيل (يفتح الباب) : حسناً ؟ فيم جئت تزعجني ؟
كوستيليوف (يلقي نظرة الى داخل الغرفة) : أنا . . . أنت ترى . . . أنت . . .
بيبيل : هل أتيت بالمال ؟
كوستيليوف : لي عمل معك .
بيبيل : هل أتيت بالمال ؟

كوستيليوف : أي مال ؟ لحظة .

بيبيل : الروبلات السبعة ثمن الساعة . أين هي ؟

كوستيليوف : أية ساعـــة ، يا فاسيـــا ؟ . . يا الهي ، أنت . . .

بيبيل : عظيم ما تقول ! شاهدنا بعض الناس ، وأنا أبيعك الساعة نهار البارحة لقاء عشرة روبلات — دفعتَ من أصل ثمنها ثلاثة ، وتبقى عليك سبعة . هاتها ! فيم وقوفك ههنا تطرف بعينيك ؟ انك تدب في الجوار وتخب مزعجاً الجميع ومقلقاً راحتهم عوضاً عن السعي وراء عملك !

كوستيليوف هُسْ — سْ — سْ ! لا تغضب ، يا فاسيا ! فالساعة . . . انها . . .

ساتين : ساعة مسروقة !

كوستيليوف (في صرامة) : انا لا آخذ أشياء مسروقة ! كيف تجرؤ . . .

بيبيل (يمسك به من كتفيه) : فيمَ جئت تزعجني ؟ ماذا تريد ؟

كوستيليوف : لا أريد شيئاً . سأذهب . . . اذا كنتَ على هذا الغرار .

بيبيل : أخرج من هنا ، وجئني بالمال !

كوستيليوف (مغادراً) : يا لهؤلاء البشر الأفظاظ ! وي ، وي !

الممثل : انها مهزلة حقيقية !

ساتين : حسناً ، فهذا ما أحب .

بيبيل : ماذا كان يفعل هنا ؟

ساتين (ضاحكاً) : أفلا يمكنــــك تخمين ذلك ؟ يفتش عن زوجته . لمَ لمْ تضربه حتى الموت ، يا فاسيا ؟ !

بيبيل : لا أريد ان أدمر حياتي من أجل مثل هذا الخنزير !

ساتين : إفعل هذا بدهاء ، وعندها تستطيع الزواج مـــن فاسيليزا . . . ستصبح سيّدنا .

بيبيل : لا نعمة في هذا ! لانكم ستبددون ملكيتي كلها على الخمرة في الحانة وستبيعوني أنا أيضاً هناك بسبـــب من طيبة قلبي . (يجلس على أحدى الدكات) ذلـــك الشيطان العجوز ! لقد بعثني من رقادي . وكنت غارقاً في أمواج حلم بديع ! كنت أصطاد ، فامسكت بسمكة كبيرة من سمك الكركي ! أنت لا تجد سمكة بمثل حجمها الا في الحلم ! كانت هنالك في آخر الخيط ، وأنا أشد الصنارة ، وأخـــاف أن تنكسر العصـــــا ، فهيأت الشبكة . . . وفكرت أن الوقت قد أزفّ الآن للامساك بها .

ساتين : تلك لم تكن سمكة كركي . تلك كانت فاسيليزا .

الممثل : لقد اصطاد فاسيليزا منذ أمد بعيد .

بيبيل (غاضباً) : اذهبا الى الجحيم ، وخذاها معكما !

كليش (يدخل من الممر) : يا للصقيع الشيطاني !

الممثل : لماذا لم تُدخل آنا ؟ لسوف تتجمد من البرد خارجاً .

كليش : أخذتها ناتاشكا الى المطبخ .

الممثل : لسوف يطردها ذلك العجوز .

كليش (يجلس وراء عمله) : فتعيدها ناتاشا الى هنا .

ساتين : فاسيلي ! اقرضني خمسة كوبيكات !
الممثل (الى ساتين) : خمسة كوبيكات ! فاسيا ! أعطنا عشرين كوبيكاً ! . .
بيبيل : الأفضل أن أسرع وأعطيهما ذلك ، والا طلبوا روبلاً كاملاً ! خذا !
ساتين : جبل طارق ! إن اللصوص أروع الناس على وجه البسيطة !
كليش (مكتئباً) : المال يأتيهم في سهولة ويسر ! وهم لا يعملون .
ساتين : كثيرون يحصلون على المال في سهولة ، لكن القليلين يعطونه بسهولة . العمل ؟ جِدْ لي عملاً يكون انجازه باعثاً على السرور ، ولعلني أقوم به اذن . وَيْ ! ربما ! عندما يبعث العمل على السرور ، تكون الحياة اذن فرحة حقيقية ! وعندما يكون العمل واجباً ، تكون الحياة عبودية اذن ! (الى الممثل) تعال ، أنت يا ساردنا بالوس ! فلنذهب !
الممثل : فلنذهب ، يا نبوخذنصّر ! لسوف أشرب كأربعين ألف سكّير !

(يخرجان)

بيبيل (يتثاءب) : كيف حال زوجك ؟
كليش : لن يطول الأمر كما يبدو .

(فترة صمت)

بيبيل : أني أراقب حياتك – عبثاً تعمل .
كليش : وما العمل ؟
بيبيل : لا شيء .
كليش : وكيف أطعم نفسي ؟
بيبيل : الناس الآخرون يتدبرون أمرهم .
كليش : من ؟ هؤلاء الذين هنا ؟ هل هم أناس ؟ صعاليك ! انذال ! انني عامل ، ويخجلني مجرّد النظر اليهـــم . انني أعمل منذ نعومة اظفاري . أفتظنني لن أخرج من هنا ؟ لسوف أفعل ذلك حتماً . قد أسلخ الجلد عن بدني بأكمله ، ولكنني سأتسلل خارج هذا المكان . انتظر فقط . سوف تموت زوجتي قريباً . انني لم أقطن هذا المكان الا منذ سته شهور ، ولكنها تبدو في عينيّ ست سنوات .
بيبيل : لستَ أفضل الآخرين فلا حاجة للتفوّه بمثل هذا الكلام .
كليش : لستُ أفضـــل ! هم عديمو الشرف ، عديمـــو الوجدان !
بيبيل (بلا مبالاة) : وما جدواهمـــا – الشرف والوجدان ؟ لست تستطيع أن تلبس الشرف والوجدان في قدميك عوضاً عن حذائيك . أولئـــك الذين يملكون القوة والسلطة يحتاجون ، وحدهم ، الى الشرف والوجدان .
بوبنوف (داخلاً) : بر – ر – ر ! . . لقد تجلّدت !
بيبيل : بوبنوف ! هل فيك وجدان ؟
بوبنوف : ما هذا ؟ وجدان ؟

بيبيل : أجل .

بوبنوف : وما حاجتي اليه ؟ لست ثرياً .

بيبيل : هذا رأيي ايضاً . الأغنياء وحدهـــم يحتاجون الى الشرف والوجدان . لكن كليش ههنا يزعق ويصيح . انه يقول أننا عديمو الوجدان . . .

بوبنوف : ماذا ينوي ؟ أن يستعير وجداناً ؟

بيبيل : كلا ، فهو يملك الكثير منه .

بوبنوف : وهكذا فهو يعرضه للبيع ؟ اذن ، لن يجد زبوناً في هذا المكان . لو أنه كارتون متحطم لأشتريته . . . وذلك اذا باعني اياه بالدين فقط .

بيبيل (بلهجة واعظـــة) : أنـــت أحمـق غبي ، يا اندري ! يستحسن أن تصغي الى ساتين فيما يتعلق بالوجدان . أو حتى الى البارون .

كليش : ليس لدي ما اتحدث عنه معهما .

بيبيل : انهما يفوقانك ذكاء . . . حتى اذا كانا سكرانين .

بوبنوف : الانسان السكران والحكيم في وقت واحد تتضاعف قيمته .

بيبيل : يقول ساتين : كلّ انسان يريـــد أن يكون للغيـر وجدان ، لكن ليس مَنْ يريد وجداناً خاصاً به . هذا صحيح .

(تدخل ناتاشا ، يتبعها لوكا وفي احدى يديه عصا ، يتدلى كيس على ظهره ، وقد ربط الى حزامه قصعة من الصفيـــح وغلاّية للشاي)

لوكا : السلام عليكم ، أيها الناس الشرفاء !
بيبيل (يمسّد شاربيه) : آه ، ناتاشا !
بوبنوف (الى لوكا) : كنا شرفاء فيما غبر من الزمان .
ناتاشا : هذا نزيل جديد .
لوكا : سواء عندي ، فأنا أحترم اللصوص النشّالين أيضاً . ان للبرغوث مزاياه في اعتقادي . فالبراغيث جميعاً سوداء ، وهي جميعاً تقفز قفزاً . هذه هي الامور . أين سيكون مكاني ، يا عزيزتي ؟
ناتاشا (تشير الى باب المطهى) : هنالك ، يا جدّاه .
لوكا : شكراً لك ، يا بنيّتي . اذا قلتِ هنالك ، فالى هنالك أذهب اذن . كل بقعة دافئة تصلح مأوى للرجل العجوز .
بيبيل : لقد جئتنا بعجوز يثير الاهتمام يا ناتاشا .
ناتاشا : انه أكثر مثارا للاهتمام منكم ! أندري ! زوجك قابعة في مطبخنا . فتعال خذها بُعَيْدَ هُنيهات .
كليش : حسناً . سآتي .
ناتاشا : يجب أن تعاملها بمزيد من اللطف الآن . . . ترى أن الأمر لن يطول .
كليش : أعرف ذلك .
ناتاشا : لا يكفي أن تعرف . يجب أن تفهم ! فالمرء خائف من الموت على كل حال .
بيبيل : أنا لست بخائف .
ناتاشا : حقاً ! يا لها من شجاعة !

بوبنوف (صافراً) : الخيوط رميم !

بيبيل : بشرفي أنا لست بخائف . أنا مستعد للموت هذه اللحظة بالذات ! هيا تناولي تلك السكين واغرزيها في قلبي . وسوف أموت من غير أن أئنّ . لسوف أكون مسروراً اذن ، لان يداً نقية أصابتني .

ناتاشا (وهي خارجة) : الاحرى لك ان تكذب امام غيري .

بوبنوف (وهو يمط كلماته) : الخيوط رميم .

ناتاشا (على باب الممر) : لا تنس زوجتك ، يا أندري .

كليش : لن أنسى .

بيبيل : اليك هذه الفتاة !

بوبنوف : انها رائعة .

بيبيل : لماذا هي . . . هكذا معي ؟ تطردني على الدوام . لسوف تضيع نفسها اذا بقيت ههنا .

بوبنوف : ستضيع بسببك .

بيبيل : لماذا بسببي ؟ فأنا . . . أرثي لها .

بوبنوف : مثلما يرثي الذئب للحمل .

بيبيل : هذا كذب ! أنا أرثي لها رثاء شديداً . فمن العسير عليها أن تعيش هنا . أرى ذلك بنفسي .

كليش : ويلك حين تقبض عليـــك فاسيليزا وأنت تثرثر معها .

بوبنوف : فاسيليزا ؟ ليست ممن يُعطون مقابل لا شيء . . تلك امرأة كاسرة !

بيبيل (يضطجع على الدكة) : اذهبا الى الشيطان معاً ! زوجان من الأنبياء !

كليش : لسوف ترى . انتظر فقط .
لوكا (يغني في المطبخ) : يا ظلام الليل . . . ضاعت الدرب في العتمة . . .
كليش (يخطو الى الممر) : فيم تنبح وتعول ؟ هذا واحد آخر !
بيبيل : أشعر بالضجر . عجيب كيف يشتدّ بي السأم من حين لآخر ؟ أنا احيا ، يوماً بعد يوم ، كل شيء على ما يرام . وفجأة ، تبدو وكأنما القشعريرة دبّت في أوصالي . فأشعر بضجر شديد .
بوبنوف : الضجر ؟ هه !
بيبيل : الضجر وشرفي !
لوكا (يغني) : آه — ه ! ولا ممرّ على مرمى البصر !
بيبيل : هاي ! أيها العجوز !
لوكا (يطل من الباب) : أتناديني أنا ؟
بيبيل : أنت بالذات ! كفّ عن الغناء .
لوكا (يدخل) : أفلا يروقك ؟
بيبيل : قد يروقني لو كان جيداً .
لوكا : تقصد أنه غناء غير جيد ؟
بيبيل : بلى أقصد ذلك .
لوكا : أمر عجيب ! ولقد كنت أحسب أن لي صوتاً جيداً . هذا ما يقع دائماً : يحدّث المرء نفسه — أفلست أفعل ذلك حسناً الآن ؟ ثم يأتي بعضهم ويقول انه رديء .
بيبيل (ضاحكاً) : بالضبط ! هذا صحيح !

بوبنوف : قلت لتوّك انك ضجران حتى الموت ، وهذا أنت تضحك الآن .

بيبيل : وما شأنك انت بهذا ايها الغراب الاسود !

لوكا : من يستشعر الضجر ؟

بيبيل : أنا . أنا الذي أستشعر ذلك .

(يدخل البارون)

لوكا : أمر عجيب ! هنالك فتاة قابعة في المطبخ تقرأ في كتاب وتبكي . صدقوني ! فالدموع تتدحرج على وجنتيها . قلت لها : «ما هذا ، يا عزيزتي ؟» فقالت : «أرثـي له !» . فقلت : «من هو ؟» . فقالت : «هنا في هذا الكتاب» . والآن ، ما الذي يحمل المرء على تزجية وقته بمثل هذه الأشياء ؟ أحسب أنه الضجر ، كما هي حالك .

البارون : انها حمقاء .

بيبيل : ايها البارون ! هل شربت شايك ؟

البارون : نعم . ثم ماذا ؟

بيبيل : أتود مني أن أقدم لك نصف زجاجة ؟

البارون : بالطبع . ثم ماذا ؟

بيبيل : إركع على اربعتك وانبح ككلب .

البارون : أبله ! أتحسب أنك تاجر غني ؟ أم أنك سكران ليس غير ؟

بيبيل : هيا وانبح ! هذا سيسلّيني . أنت من الاسياد ،

ويوماً ما لم تكن تعتبر البشر من أمثالنـــا مخلوقات بشرية او ما شابه .

البارون : حسناً ، ثم ماذا ؟

بيبيل : وبعد ؟ وها أنا الآن أطلب اليك النباح ككلب ، ولسوف تفعل ذلك . هل تفعل ؟

البارون : طبعاً ! أنت أبله ! لا أدري على أية غبطة ستحصل من ذلك . وأنا نفسي أدرك أنني أصبحت أسوأ منك تقريباً . فقد كان احرى بك أن تحملني على الركوع على أربع عندما كنت أتفوق عليك .

بوبنوف : هذا صحيح !

لوكا : وأنا أقول أيضاً : جيد !

بوبنوف : ما فات قد فات ، ولم يبق سوى ريش الدجاج . ليس بينكم أسياد هنا . . . لقد غُسلت الأصباغ جميعاً ، ولم يتبق غير العراة .

لوكا : وبكلمة أخرى ، الجميع متساوون . لكن ، هل كنت باروناً حقيقة ، يا رجُلي الطيب ؟

البارون : ما هذا ؟ مَنْ أنت ، أيها العفريت ؟

لوكا (ضاحكاً) : لقد رأيت كونتاً . وشاهدت أميراً . لكنني لم أشاهد باروناً من قبل قط ، وباروناً جرباناً أيضاً .

بيبيل (ضاحكاً) : بارون ! أنت تخجلني !

البارون : حان الوقت لتَعقْل ، يا فاسيا !

لوكا : يا اللّه ! عندما أنظر اليكم ، يا اخوتي ، والحياة التي تعيشون – هم–م–م . . .

بوبنوف : نحن نصحو على الآهات ، وننام على الأنّات – هذه هي الحياة التي نحيا .

البارون : كنا نعيش بصورة أفضل ذات مرة . ويْ ، أذكر أني كنت أستيقظ صباحـــاً ، فتُقدّم اليّ القهوة في فراشي . القهوة بالحليب ! هذا ما كان !

لوكا : اننا كائنات بشرية ، جميعنا ، ولا فرق كيف نتظاهر ، ولا فرق كيف نوحي للآخرين : لقد وُلدنـــا كائنات بشرية ، وكائنات بشرية سنموت . والناس يزدادون حكمة ، في رأيي ، ويصيرون أبعث على الاهتمام . وكلما ساء عيشهم ، كلما ازدادت رغبتهم في عيش أفضل . ان الكائنات البشرية جماعة عنيدة المراس !

البارون : من أنت ، أيها العجوز ؟ ومن أين جئت ؟

لوكا : أنا ؟

البارون : هل أنت حاج ؟

لوكا : جميعنا حجّاج على هذه الأرض . وقد سمعت بعضهم يقول ان أرضنا هذه ما هي الا حاجّة في السماوات .

البارون (بحدّة) : فليكن ما يكون ، انما أنت – هل تحمل جواز سفر ؟

لوكا (بعد صمت) : ومن أنت ، أجاسوس أنت ؟

بيبيل (فرحاً) : حسناً قلت ، أيها العجوز ! لقد أفحمك هذه المرة ، أنت أيها البارون !

بوبنوف : أجل . لقد أوقف سيدنا العظيم عند حدّه !

البارون (مرتبكاً) : وما أهمية ذلك ؟ كنت أمزح ، أيهـــا

العجوز ! فأنا الآخر لا أملك واحدة من تلك الوثائق أبداً .

بوبنوف : كذّاب !

البارون : هذا يعني أن لديّ بعض الأوراق . . . الا أنهـــا غير صالحة .

لوكا : جميع هذه الأوراق سواء . ليس فيها ورقة صالحة .

بيبيل : بارون ! لنذهب الى الحانة .

البارون : انني مستعد دائماً ! حسناً ، الوداع ، أيهـــا الشيخ ! يا لك من محتال !

لوكا : كل شيء ممكن الحدوث يا عزيزي . . .

بيبيل (على الباب المؤدي الى الممر) : حسناً ، هيا بنا اذا أردت الذهاب ! (يخرج ، فيهرول البارون خلفه .)

لوكا : هل كان باروناً حقيقياً ذات مرة ؟

بوبنوف : من يدري ؟ انه من الذوات حقيقة . وحتى الآن قد يفعل شيئاً على حين غرة يدلّك على أنه من الذوات . يبدو أنه لم ينس عاداتهم بعد .

لوكا : الانتماء الى الذوات أشبه بمرض الجدري – قد يبرأ المرء منه ، لكن آثاره تبقى .

بوبنوف : انه حسن على وجه الاجمال – قد يلبط في بعض الاحيان . . . كما بشأن جواز سفرك .

أليوشكا (يدخل سكران ، يصفر ويعزف على الأكورديون بين يديه) : هاي ، يا سكّان الدار !

بوبنوف : ما بالك تصرخ ؟

أليوشكا : اعذرني . اغفر لي . فأنا مهذّب .

بوبنوف : أبدأت تشرب من جديد ؟

أليوشكا : أفعل ما أشاء ! لقد طردني الشرطي ميدياكين من نقطة الشرطة قبل برهة قائلاً : «اياك أن أمسك برائحة منك في الشارع مرة ثانية . . . ولا أضأل رائحة !» هذا ما قال لي . لكنني انسان له شخصيته ! ورئيسي يزمجر في وجهي . لكن ، ما هو الرئيس ؟ تفو ، تفو ! مجرد لا شيء ! انه سكّير ، رئيسي ذاك . وأنا انسان لا يهتم بأي شيء كان . أنا لا أريد شيئاً ! حاول ان تجبرني على أن افعل شيئاً ! (تدخل ناستيا من المطهى .) أعرض عليّ مليوناً — فأرفضه ! هل تظن أني أسمح لزميلي وهو سكير أن يأمرني أنا الرجل الطيب ؟ أبداً وحياتك ! (ناستيا تراقب أليوشكا ،وهي تقف قرب الباب ، وتهزّ رأسها .)

لوكا (بلطف) : يا للورطة التي وقعت فيها ، يا فتى !

بوبنوف : هذه حماقة البشر .

أليوشكا (يرتمي على الأرض) : هأنذا ، كلوني ! لست أريد شيئاً ! انني فتى يائس ! برهنوا لي من هم أفضل مني ! ولِمَ أنا أسوأ من الآخرين ؟ برهنوا لي ! قال لي ميدياكين : «سأحطم حنكك ان مسكت بك في الشارع» ! لكنني سأخرج اليه ! سأخرج وأتمدّد في وسط الشارع — هيا ، مروا من فوقي ! لست أريد شيئاً !

ناستيا : يا للفتى التعس ! في طراوة عمره ، وقد تلوّى وتعقّد على هذا الشكل . . .

أليوشكا : (يلمحها ، فينهض على ركبتيه) . يا آنسة !
ما دماوزيل ! بارليه فو فرانسيه ... بريسكورانت...
لقد شربت !

ناستيا : (في همسة عالية) : فاسيليزا !

فاسيليزا (تفتح الباب بسرعة ، وتخاطب أليوشكا) : أنت هنا ثانية !

أليوشكا : مرحباً تفضلي . . .

فاسيليزا : لقد أنذرتك الا تظهر في هذه الأرجاء ، أيها الجرو . . . وها أنت هنا ثانية !

أليوشكا : فاسيليزا كاربوفنا ! . . سأعزف لك لحناً جنائزياً . . . أتودّين ذلك مني ؟

فاسيليزا (تدفعه من كتفه) : أخرج من هنا !

أليوشكا (يتحرك في اتجاه الباب) : تمهلي قليلاً ! اللحن الجنائزي ! لقد تعلمته حديثاً ! انه لحن جديد ! تمهلي قليلاً ! لا يمكن أن تفعلي ذلك !

فاسيليزا : سأريك انْ كنت أفعله أم لا ! لسوف أثير الشارع بأسره ضدّك ، أيها الكافر ! ما زلت صغيراً بعد حتى توشى بي !

أليوشكا (يركض خارجاً) : انني ذاهب !

فاسيليزا (الى بوبنوف) : لا تدعني ألمحه هنا مرة ثانية ، أتسمع ؟

بوبنوف : أنا لست كلب حراسة .

فاسيليزا : لا يعنيني مَنْ انت ! انما لا تنس أنك تعيش هنا بفضل رحمتي . بكم أنت مدين لي ؟

بوبنوف (ساكن الجأش) : لم أحسب ذلك .
فاسيليزا : حسناً ، سأحسب أنا لك !
أليوشكا (يفتح الباب ويصيح) : فاسيليزا كاربوفنا ! أنا لست خائفاً منك . لست خا – ئفاً ! (يختفي .)

(لوكا يضحك)

فاسيليزا : وانت ، من عساك تكون ؟
لوكا : عابر طريق حاج .
فاسيليزا : أتطلب مأوى ليلة ، أم اقامة طويلة ؟
لوكا : سألقي نظرة فيما حولي أولاً .
فاسيليزا : جواز سفرك !
لوكا : اذا شئت . . .
فاسيليزا : أعطنيه !
لوكا : لسوف أسلمه . . . في جناحك الخاص بالذات .
فاسيليزا : عابر طريق . . آخر ! احرى بك ان تقول انك صعلوك . هذا أقرب الى الحقيقة . . .
لوكا (يصعّد زفرة حرّى) : آه ، كـــم انت متذمرة يــا ستي . . .

(فاسيليزا تتجه الى باب غرفة بيبيل)

أليوشكا (يطل برأسه من باب المطهـــى ويهمس) : هل ذهبت ؟ ها ؟

فاسيليزا : (تلتفت اليه) لا تزال انت هنا ؟

(أليوشكا يختفي وهو يصفر . ناستيا ولوكا يضحكان)

بوبنوف (الى فاسيليزا) : ليس هو هنا .
فاسيليزا :من ؟
بوبنوف : فاسيا .
فاسيليزا :أسألتك أين هو ؟
بوبنوف : هذا واضح لي . انك تشمّين جميع الزوايا .
فاسيليزا : أنا ألقي نظرة لأرى هل كل شيء على ما يرام ، أفهمت ؟ لِمَ لم تمســح الأرض حتى الآن ؟ كم مرة أمرتكم أن تحافظوا على نظافة هذا المكان ؟
بوبنوف : اليوم دور الممثل في المسح .
فاسيليزا : لا يهمني دور مَنْ ! اذا قدم مفتش الصحة وأوقع غرامة بي ، فسوف أرمينّ بكم الى الطريق جميعاً !
بوبنوف (في هدوء) : ومن أين ستعيشين وقتذاك ؟
فاسيليزا : نظفوا المكان حتى لا تبقى ذرة غبار على الأرض ! (تتجه صوب المطهى ، وتخاطب ناستيا .) فيم واقفة ههنا وبوزك منتفخ متورّم ؟ لماذا جمدت كالتمثال — هيا امسحي الأرض ! أرأيت ناتاشا ؟ هل كانت هنا ؟
ناستيا : لا أدري . لم أرها .
فاسيليزا : بوبنوف ! أكانت أختي هنا ؟
بوبنوف (يشير الى لوكا) : لقد جاءت به .
فاسيليزا : وذلك الآخر — أكان في الدار ؟

بوبنوف : فاسيا ؟ نعم . لكن ناتاشـــا تحدثت الى كليش وحده .

فاسيليزا : لم أستوضحك مع من تحدثت ! القذارة في كل مكان ! فظاعة ! أخ انتم عصبة خنازير ! نظّفوا هذا المكان . هل تسمعونني ؟ (تخرج بسرعة .)

بوبنوف : هذه المرأة ملأى بالوحشية !

لوكا : انها امرأة صارمة .

ناستيا : كل انسان ينتهي الى الوحشيـــة اذا عاش مثل هذه الحيـــاة . ألا فاربط أي انســـان حي الى زوج كزوجها . . .

بوبنوف : ليست محكمة الوثاق .

لوكا : وهل تظلّ دائماً متفجرة ثائرة هكذا ؟

بوبنوف : دائماً . لقد جاءت لرؤية عشيقها ، ولم يكن هنا .

لوكا : فتملكها الغيظ اذن . (يتنهد .) يا اللّه ، يا اللّه ، يا اللّه ! ما أكثر الناس الذين يحاولون أن يسوسوا أرضنا هذه . ويهدّد بعضهم البعض بأشياء مخوفة ، ورغم ذلك لا وجود للنظام في الحياة ولا للنظافة فيها .

بوبنوف : انهم جميعاً يريدون النظام ، لكن يعوزهم العقل لذلك . ورغم كل هذا ، فلا بدّ أن تمسح الأرض . ناستيا ! لمَ لا تمسحينها ؟

ناستيا : آه بلى ، طبعاً . ماذا تظنني ، خادمة بيتك ؟ . . . (بعد برهة صمت .) لسوف أسكر هذا النهار . . . سكرة مجنونة !

بوبنوف : هذا يعني شيئاً على الأقل .
لوكا : لماذا تريدين أن تسكري ، يا فتاتي ؟ لقد كنت ، للحظة خلت ، تبكين وتنوحين ؛ وها أنت الآن تقولين انك تريدين أن تسكري !
ناستيا (متحدية) : سأسكر وأعاود البكاء والنواح من جديد . هذا كل شيء !
بوبنوف : ليس هو بالشيء الكثير .
لوكا ؛ ولكن ما هو السبب ؟ حتى البثرة لهـــا سببهـــا الخاص . . .

(ناستيا تهز رأسها في سكون)

لوكا : هكذا . . . يـــا الله ، يا الله ، يا الله ! ماذا سيحل بكم أيها السادة البشر ؟ سأمسح الأرض لكم . أين المكنسة ؟
بوبنوف : خلف الباب في الممر .

(لوكا يخرج الى الممر)

بوبنوف : ناستيا !
ناستيا : ماذا ؟
بوبنوف : فيم تنقضّ فاسيليزا على أليوشكا هكذا ؟
ناستيا : هو يخبر الجميع بأن فاسيا قد زهق منها ، وانه

يريد ان ينبذها من أجل ناتاشا . سوف أذهب من هذا المكان – أنتقل الى مكان آخر .

بوبنوف : ما هذا ؟ الى أين ؟

ناستيا : سئمت من كل هذا . انا زائدة ههنا .

بوبنوف (في هدوء) : انت زائدة في كل مكان . وكل الناس على وجه الارض هم زائدون ايضاً . . .

(ناستيا تهز رأسها ، تنهض ، وتخرج الى الممر على مهلها . يدخل ميدفيديف ، يتبعه لوكا حاملاً المكنسة)

ميدفيديف : لا أظن أني أعرفك .

لوكا : وهل تعرف البقية كلهم ؟

ميدفيديف : من المفروض فيّ أن أعرف جميع الناس القاطنين في منطقتي . لكنني لا أعرفك .

لوكا : ذلك لأن الأرض بأسرها لا تقع ضمن منطقتك ، أيها العم . فما تزال بقية صغيرة منها في غير هذه البقعة . (يخرج الى المطهى .)

ميدفيديف (يتجه الى بوبنوف) : صحيح ان منطقتي ليست كبيرة جداً . لكنها أسوأ من أية منطقة كبيرة . في هذه اللحظة ، وقبل أن أختم نوبتي ، نقلت الاسكافي أليوشكا الى مركز الشرطة . أتتصور ذلك ؟ يضطجع على الأرض وسط الشارع ، ويعزف على الأكورديون ، ويعوي : لست أريد شيئاً ! لا أتوق الى شيء ! وتمرّ

الخيول الى جانبه ، وكل وسائل المرور . . . وقــد يصدمه شيء أو يدهســه . يا له فتى مشاكساً ! لكنني نقلته للتو الى هناك تماماً . أنه يحب الشغب والعراك .

بوبنوف : هل ستأتي لشوط داما ، هذه الليلة ؟

ميدفيديف : أجل . هم — م . . . وماذا عن فاسيا ذاك ؟

بوبنوف : لا شيء على التعيين . فهو كعادته أبداً .

ميدفيديف : وبمعنى آخر . . . حيّ ويعيش ؟

بوبنوف : لم لا ؟ ليس ثمة سبب يدعوه لئلا يعيش .

ميدفيديف (بارتياب) : أتظن ذلك ؟ (يخرج لوكا الى الممر حاملاً سطلاً .) هم — م . . ثمة شيء من القيل والقال يدور حول فاسيا ! . . ألم تسمعه ؟

بوبنوف : أسمع الشيء الكثير من القيل والقال .

ميدفيديف : عنه وعن فاسيليزا . يبدو . . . هـل لاحظتَ شيئاً ؟

بوبنوف : أي شيء مثلاً ؟

ميدفيديف : . . . أي شيء . على العموم . . . لعلك تعرف وتكذب عليّ . فالجميع يعرفون . (بحدة) اياك والكذب الآن !

بوبنوف : وما يدعوني الى الكذب ؟

ميدفيديف : صحيح ما تفعل ! آخ منهـــم هؤلاء الكلاب ! يقولون ان فاسيا وفاسيليزا . . . أنت تعرف . لكن ماذا يهمني من ذلك ؟ لست والدها — أنا عمهـــا فقط . لماذا يهزأون مني ؟ (تدخل كفاشنيا .) ماذا

جرى للبشر مؤخراً – يضحكون من كل شيء . آه ، هذه أنت ! عدْت أخيراً !

كفاشنيا : آه ، يا عزيزي العسكري ! عاد يضايقنـــي في السوق ، يا بوبنوف ! يريدني ان أتزوّجه .

بوبنوف : هيا . فيمَ التردّد ؟ فلديه المال ، وهو مـــن فوارس الفرسان !

ميدفيديف : أنا ؟ هُوْ – هُوْ .

كفاشنيا : آه يا أشيبي ! داو جراحي ! لقد جرّبت ذلـــك مرة ، يا عزيزي ! الزواج ، بالنسبـــة الى المرأة ، أشبه بالقفز الى حفرة في الجليد . فاذا هي فعلت ذلك مرة ، لن تنساه أبداً . . .

ميدفيديف : صَهْ ، أمسكي لسانك – فالأزواج مختلفون .

كفاشنيا : لكنني ، أنا نفسي ، لم أتغير . حينما نفق نصفي العزيز – ولتلتهمه نيران الجحيم ! – جلست مغتبطة هناك طيلة نهار كامل منطوية على ذاتي : جلست هناك أحاول ان أصدق حظّي الطيب . . .

ميدفيديف : اذا كان زوجك يضربك من دون سبب معقول ، فيجب أن تسرعي الى الشرطة وتشكي أمرك اليها .

كفاشنيا :شكوت الأمر الى اللّه ثمانية أعوام . بيد أنه لم يساعدني !

ميدفيديف : ممنوع ضرب الزوجات في هذه الأيام . فالقانون صارم في هذه الأوقات . القانون والنظام ! لا يجوز ضرب كائن من كان دون سبب معقول – فقط من أجل حفظ النظام .

لوكا (يقود آنا الى الغرفة) : وصلنــــا والحمد لله ! لمَ تفعلين هذا ؟ كيف تسيرين لوحدك ، وأنت على مثل هذا الضعف الشديد ؟ أين مكانك هنا ؟

آنا (تدله عليه) : شكراً لك ، يا جدّي .

كفاشنيا : اليكم امرأة متزوجة . أنظروا اليها !

لوكا : انها لامرأة مسكينة ضعيفة جداً . كانت تدبّ عبــر الممر ، تتشبث بالحائط وتئن . لا يجوز أن تسمحوا لها بالخروج هكذا لوحدها أبداً .

كفاشنيا : أغفر لنا ذلك الاهمال ، يا سيدي الطيب . يبدو أن وصيفتها غائبة ، تتنزه الاونة .

لوكا : ما هذا ؟ تحولين الأمر الى نكتة ! لكن كيف يمكن أن تهملوا انساناً هذا الاهمال ؟ ان لكل امرىٔ قيمــة ، مهما يكن حاله .

ميدفيديف : يجب مراقبتهـــا دائماً . ماذا لو ماتت على حين بغتة ؟ سيكون ذلك مزعجاً جداً . راقبوها اذن !

لوكا : أنت على حق ، يا سيد شاويش .

ميدفيديف : حسناً ، رغم انني . . . لم أصبح شاويشـــاً بعد . . .

لوكا : حقاً ؟ لكن هيئتك هيئة الابطال .

(ضجة وصخب في الممر . يُسمع صدى صيحات مخنوقة .)

ميدفيديف : مشاجرة ؟

بوبنوف : ليبدو أن الأمر كذلك .

كفاشنيا : سأذهب وأرى .

ميدفيديف : لا بدّ أن أذهب أيضـــاً . . . آه ، يا لهذه الواجبات ! لا أستطيع أن أفهم لماذا يجب أن نفرّق بين الناس الذين يتقاتلون ! لسوف يقلعون عن القتال من تلقاء أنفسهم حينما يتعبون . من الأفضل أن نتركهم يمزقون بعضهم بعضاً على هواهم . لسوف يتذكرون ذلك ، فلا يسرعون الى القتال في المرة التالية .

بوبنوف (ينهض عن دكته) : تحدّث عن مثل هذه الأمور الى رئيسك .

كوستيليوف (يفتح الباب ، ويصيح) : أبرام ! تعال بسرعة ! فاسيليزا تريد قتل ناتاشا . أسرع !

(يهرع كفاشنيا وميدفيديف وبوبنوف الى الممر . يهز لوكا رأسه ويتأثرهم بأنظاره)

آنا : آه ، يا الهي ! يا لناتاشا المسكينة !

لوكا : من يتقاتل ؟

آنا : صاحبتا الدار . وهما شقيقتان !

لوكا (يدنو من آنا) : وفيم تتقاتلان ؟

آنا : لا شيء على وجه الخصوص . كثرة من القوة والطاقة .

لوكا : ما اسمك ؟

آنا : آنا . اني أرنو اليك طوال الوقت – أنت تذكرنـــي . . . بوالدي لشدة رقتك ولطفك .

لوكا : لقد عجنوني كثيراً . هذا ما يجعلني على هذا القدر من الرقة . (يطلق ضحكة ملعلعة)

ستار

الفصل الثاني

(المشهد ذاته)

الوقت مســـــاء . ساتين وكريفوي زوب والبارون والتترى يلعبون الورق وهم جالسون على الدكة بالقرب من المدفأة ، وكليش والممثــــل يتفرجان . بوبنوف وميدفيديف يلعبان الداما على دكة الأول . لوكا جالس جنب آنا . الدار مضاءة بقنديلين ، أحدهما مثبت في الحائط قريبا من لاعبي الورق ، والآخر موضوع على دكة بوبنوف .

التتري : ألعب مرة أخرى . هذا كل ما ألعب . . .
بوبنوف : زوب ! غنِّ لنا ! (يغني)

في كل صباح تشرق الشمس وتغرب . . .

كريفوي زوب (يشترك في الغناء) :

والعتمة ما برحت تخيّم في زنزانتي . . .

التتري (الى ساتين) : خلِّط الورق ، خلِّطه جيداً . فنحن نعرف كيف تلعب .
بوبنوف وكريفوي زوب (معاً) :

وحراس السجن ، في الليل والنهار ،
آه — ه !
يراقبون نافذة زنزانتي . . .

آنا : ضرب . . . اهانات . . . لا شيء آخر . . . هذا كل ما رأيت' . . . كل ما عرفت .

لوكا : آه ، يا عزيزتي المسكينة ، لا تكتئبي !

ميدفيديف : هاي ، الى أين تتحرك ؟ انتبه !

بوبنوف : هِمْ — مْ . حسناً . . .

التتري (يهز قبضته في وجه ساتين) : لماذا تخبئ الورق ؟ اني أراك ! أنت ، يا ملعون !

كريفوي زوب : كفى ، يا حَسَنْ ! لسوف يخدعوننا على أية حال . بوبنوف ، واصل الأغنية !

آنا : لم أحصل قط على كفايتي من الطعام . أحصيت دائماً كل كسرة من خبز . . . وارتعشت دائماً من الخوف . . . وكنت أخشى أن آكل أكثر من الشخص الآخر . . . ولم يتوفر لي أبداً من الثياب سوى الأسمال المهترئة . هذه هي حياتي التعيسة . لماذا ؟

لوكا : أيتها الصبية الصغيرة المسكينة ! هل أنت تعبة ؟ سيكون كل شيء على ما يرام .

الممثل (الى كريفوي زوب) : ارم الشب — الشب الذي معك ، لعنة الله عليك !

البارون : ونحن معنا الملك !

كليش : هما يربحان دائماً .

ساتين : هذه عادتنا .
ميدفيديف : ملكة !
بوبنوف : وعندي أيضاً . فما قولك ؟
آنا : وهذي أنا أموت . . .
كليش : هل ترى ؟ أترك اللعب ، يا أمير ، أترك اللعب ، أقول لك !
الممثل : ألا يدرك ذلك من غير نصيحتك ؟
البارون : حذار ، يا أندري ، والا أرسلتـــك طائراً الى الجحيم !
التتري : هيا . وزّع من جديد . امتلأت الجرة ماء وتحطمت . وهذه هي حالي .

(كليش يهز رأسه ويمضي الى بوبنوف)

آنا : أفكر طوال الوقت : يا اللّه العزيز ، هل سيستمر مثل هذا العذاب في العالم الآخر أيضاً ؟ هنالك أيضاً ؟
لوكا : لن تتعذبي هنالك ، يا حلوتي . اضطجعي في هدوء . ولن تتعذبي ابداً . لسوف تنالين راحة عظيمة هنالك . اصبري فترة أخرى فقط . ينبغـــي لكل امرئ أن يصبر . . . ويتحمل الحياة على طريقتـــه الخاصة . (ينهض ويدلف الى المطهى بخطوات قصيرة سريعة .)
بوبنوف (يغني) :

احرسوا نافذتي كما تشاؤون . . .

كريفوي زوب :

فلن أهرب ابداً !

(في نغم واحد مؤتلف)

ورغم حنيني القاتل الى حريتي
آه — ه !
فالاغلال تجبرني على البقاء !

التتري (يصيح) : آها ! يضع ورقة في كمّ سترته !
البارون (في شيء من الارتباك) : أين تريدني أن أضعها — فوق أنفك ؟
الممثل (باقتناع) : أنت مخطئ ، أيها الأمير . أبداً لم يقدم امرؤ . . .
التتري : اني أراك ! انت تغش ! لن ألعب !
ساتين (يجمع الورق) : كفى ، يا حسن . كنت تعرف أننا نغش . لماذا لعبت معنا ؟
البارون : خسر اربعين كوبيكاً وأثار ضجة كما لو كانت ثلاثة روبلات ! ويسمي نفسه أميراً تترياً !
التتري (في لهفة) : لا بدّ أن يكون اللعب شريفاً .
ساتين : لماذا ؟
التتري : ماذا تعنى بـ«لماذا» ؟
ساتين : هذا ما قلت — لماذا ؟

التتري : ألا تعرف ؟
ساتين : لا أعرف . هل تعرف أنت ؟
(التتري يبصق في غضب ، بينا يسخر الآخرون منه)
كريفوي زوب (في لطف) : أنت عجيب ، يا حَسَنْ ! أفلا تفهم أنهم اذا حاولوا ان يعيشوا بصورة شريفـة ، فسوف يموتون جوعاً في ثلاثة أيام ؟
التتري : وماذا يهمني هذا ؟ يجب أن تعيش بصورة شريفة .
كريفوي زوب : انه يضرب على الوتر القديم ذاته ! هيا ، قوموا بنا نشرب الشاي . بوبنوف !

آه ، اغلالي . . .

بوبنوف :

يا حارستي الحديد . . .

كريفوي زوب : هيا يا حسن ! (يخرج ، وهو يغني)

ولا أقوى على تحطيمها أو فكها . . .

(التتري يهز قبضته في وجه البارون ، ثم يتبع رفيقه الى الخارج)

ساتين (ضاحكاً ، يخاطب البارون : مرة ثانية ، يا صاحب

السعادة ، يبدو أنك غرقت في حفرة عميقـــة المهوى .
وَيْ ، رجل مثقف ، ولا تعرف كيف تدسّ ورقة في كم سترتك !

البارون (موسّعا ما بين يديه) : كيف يمكن ان يراها ، بحق الشيطان !

الممثل : لا موهبة . ولا ايمان بنفسك . بدون هذا – لا شيء اطلاقاً . فشل واخفاق .

ميدفيديف : عندي ملكة وعندك ملكتان . . .

بوبنوف : وملكة واحدة تكفي اذا كانت ذكية . . . دورك !

كليش : أنت خسرت ، يا أبرام ايفانيتش !

ميدفيديف : دع عنك هذا . . . هل تسمع ؟ اخرس !

ساتين : الأرباح – ثلاثة وخمسون كوبيكاً !

الممثل : ثلاثة كوبيكات منها تعود اليّ . لكن ما حاجتي الى ثلاثة كوبيكات ؟

لوكا (يدخل من باب المطهى) : حسناً ، لقد سلبتم التتري ، وستسعون وراء الفودكا الآن ؟

البارون : تعال معنا !

ساتين : أحب ان أعرف ما تكون عليه حالك وأنت سكران .

لوكا : لن أكون أفضل مني في حال صحوي .

الممثل : هيا بنا ، أيهـــا الشيخ ! سأتلو عليـــك بعض القصائد .

لوكا : ما هذا ؟

الممثل : شعر . ألا تعرف ؟

لوكا : شعر ! وماذا أفعل بالشعر ؟

الممثل : قد يكون مسليـاً . لكـن قد يكون أيضاً محزناً .
ساتين : حسناً ، أيها الشاعر ، أقادم أنت ؟(يخرج بصحبة البارون .)
الممثل : اني قادم . لسوف ألحق بكمـــا ! أصغ الى هذا ، أيهـــا العجوز . انه من قصيدة . أوه . . . لا أذكر مطلعها . لا أستطيع أن أتذكر ! (يحك جبهته)
بوبنوف : عظيم ! ههنا ربحتُ ملكتك . إلعب !
ميدفيديف : كان يجب الا ألعب هكذا . . . اللعنة !
الممثل : من قبل ، حين لم يكن جسمــــي قد تسمّم بالكحول بعد ، كانت ذاكرتي قوية جيدة ، أيها العجوز . أما الآن . . . خلاص يا أخي ! انتهى كل شيء بالنسبة اليّ الآن . كنت دائماً أهزّ المسرح بهذه الأبيات – تصفيق هائل . وأنت لا تدري ماذا يعني التصفيق ، يا صديقي . . . التصفيق كالفودكا ! وقد اعتدت الخروج الى المسرح والوقوف هكذا (يتخذ وقفة خاصة .) كنت اقف هكذا . . . و . . . (يصمت .) لا أستطيع أن أتذكر كلمة . ولا كلمة واحدة . وتلك كانت قصيدتي الأثيرة . . . هذا سيىءٌ جداً ، أليس كذلك ، أيهـــا الشيخ ؟
لوكا : انه سيىءٌ طالما أنها القصيدة الأثيرة لديك . ان روح المرء كلها في الشيء الاثير لديه .
الممثل : شربت روحي ، أيهـــا الشيخ . وهلكت . ولمَ هلكت ؟ لأني لا أؤمن بنفسي . أنا انتهيت .
لوكا : ماذا تقول ؟ كل ما يجب أن تفعل هو أن تتناول دواء .

فهم يشفون الناس من الادمان هذه الأيام . اسمع ما أقول ! يشفونهم من دون أجر . . . لقد فتحوا مستشفى خاصة ، حيث يداوونهم بغير مقابل . ذلك لأنهم يدركون أن السكّير مخلوق بشري هو الآخر ، ولشدّ ما يسرّون مع ذلك عندما ، هو ، يريد أن يتداوى ! إذهب الى هناك اذن . اذهب وجرّب ذلك ، إذهب .

الممثل (مفكراً) : الى أين ؟ أين تقع هذه المستشفى ؟

لوكا : انها – في مدينة . . . ماذا يسمونها ؟ اسمها غريب . انتظر . . . لسوف أخبرك باسمها على كل حال . وفي هذه الأثناء هيئ نفسك . أترك الفودكا . واحزم أمرك وإصمد . ومن بعد تذهب للمعالجة ، وتبدأ الحياة مرة ثانية من جديد . ألن يكون ذلك رائعاً ؟ مرة ثانية من جديد . هيا اتخذ قراراً فقط . الصبر اولاً ، ثم العلاج في المستشفى .

الممثل (مبتسماً) : مرة ثانية من جديد . كل شيء من البداية . ذلك رائع . وَيْ . . . مرة ثانية من جديد . (يضحك.) بالطبع ! أأستطيع ذلك ؟ ! أأستطيع ذلك ؟ ما رأيك ؟

لوكا : طبعاً تستطيع ! الانسان يقوى على كل شيء ، اذا اراده بصورة كافية .

الممثل (وكأنه استفاق فجأة) : أنت انسان غريب ! حسناً ، وداعاً في الوقت الحاضر ! (صافراً) وداعاً ، أيها الشيخ العزيز ! (يخرج)

آنا : جدّاه !
لوكا : ما الأمر ، يا عزيزة ؟
آنا : حدثني .
لوكا (يقترب منها) : حسناً ، فلنثرثر قليلاً .

(كليش يلتفّ حوله ، ثم يدبّ صوب زوجته في سكون ، يرنو اليها ويقوم بعدة حركات بيديه ، وكأن ثمة شيئاً يريد التصريح به)

لوكا : ما بالك ، يا أخي ؟
كليش (بصوت مخفوض) : لا شيء . (يتجه نحو باب الممر على مهله ، يقف في جواره لحظات ، ثم يخرج على غير انتظار)
لوكا (يتبعه بعينيه) : موقف صعب على رجلك .
آنا : ليس في مقدوري أن أفكر فيه الآن .
لوكا : هل كان يضربك كثيراً ؟
آنا : ضرباً رهيباً . وبسببه انتهيت الى هذه الحال .
بوبنوف : كان لزوجتي عشيق مرة . وكان ذلك النذل يلعب الداما بصورة رائعة .
ميدفيديف : هم – م . . .
آنا : حدثني ، يا جدّ . . . اني في حال سيئة جداً .
لوكا : ليس هذا بذي بال . فهو أمر طبيعي قبل الموت ، يا حمامتــــي . ستسير الأمور على أحسن ما يرام ، يا محبوبتي . تعلقــي بأهداب الأمــل فقط . لسوف

تموتين ، وسيخيم السكون والسلام عليك . ولن تخافي شيئاً بعد ذلك البتة ، ولن تريدي شيئاً ، بل تضطجعين فقط هناك في سلام ودعة . الموت رحيم بنا نحن الفانين المساكين . وهو يزيل جميع الغضون . ولهذا يقولون : انه راحة أبدية . وتلك هي الحقيقة ، يا حبوبتي ، اذ أين يترجى المرء الحصول على السلام في هذا العالم ؟

(يدخل بيبيــــل ، سكران ، يلوح أشعث المظهر ، مكتئب المزاج . يقتعد دكة قرب الباب ، ويقبـــع ساكتاً لا يأتي حركة)

آنا : لكن هنالك ، في ذلك العالـــم الآخر ، هل سنقاسي العذاب والآلام ، هناك أيضاً ؟

لوكا : لن يكون هناك شيء . لا شيء البتـــة . صدقيني . السلام والطمأنينة ، ولا شيء آخر . ولسوف يستدعونك أمام الرب ويقولون : أنظر ، يا سيد ، انها خادمتك المخلصة آنا قد جاءت اليك .

ميدفيديف (بقسوة) : كيف تعرف ماذا سيقولون هناك ؟ أنت ذكي حقاً .

(يرفع بيبيل رأسه ويصغي حينما يسمع صوت ميدفيديف .)

لوكا : حين أقول شيئاً ، فلا بدّ أني أعرفه ، ايها السيد الشاويش . . .

ميدفيديف (وقد هدأ) : هم — م . . . ربما . ذلـــك من

شأنك . ولكني لست شاويشاً . لم أصبح شاويشاً بعد .

بوبنوف : وثبة مضاعفة .

ميدفيديف : اللعنة عليك !

لوكا : ويرنو اليك الرب بلطف وحنو ، ويقول : اني أعرف آنا طبعاً ! وسيقول : هيا ، قودوا عزيزتنا آنا الى الفردوس رأساً – هذا ما سيقول . فلتسترح قليلاً . فأنا أعرف ما لقيت في حياتها من عناء . وأعرف كم هي متعبة . . . فلتُصِبْ آنا السلام والطمأنينة الآن .

آنا (لاهثة) : أواه ، جدّاه . جدي العزيـــز . . . لو يكون الأمر كما تقول فقط ! لو أن . . السلام والطمأنينة . . ولا أحسّ شيئاً . . .

لوكا : لن تشعري بشيء ، يا حلوتي . لا شيء على الاطلاق . صدقيني . يجب أن تموتي الآن مسرورة فرحة ، لا يراودك الخوف أبداً . الموت ، صدقيني ، أب حنون علينا ، نحن أولاده .

آنا : لكن . . . ربما . . . ربما تتحسن صحتي ؟

لوكا (بابتسامة قصيرة) : ولماذا ، يا عزيزتي ؟ كي تتعذبي من جديد ؟

آنا : كي أعيش . . . ولو قليـــلاً فقط . . . فترة أخرى فقط . فترة أخرى فقط . ما دمت قلت انه لن يكون شقاء هناك أبداً . . . فأستطيع تحمّل ذلك ههنا . . . أستطيع ذلك !

لوكا : لن يكون هنالك شيء على الاطلاق . كل ما . . .

بيبيل (ينهض) : أنت على حق . . . لكن ربما – كنت على ضلال وخطأ !

آنا (تنتفض) : يا الهي !

لوكا : ما هذا ، يا فتاي الجميل ؟

ميدفيديف : من يزعق ؟

بيبيل (يتجه صوبه) : أنا ! ماذا اذا زعقت ؟

ميدفيديف : لا مبرّر لزعيقك ، هذا كل ما في الأمر ! عـــلى المرء أن يتصرّف في هدوء .

بيبيل : أحمق ! وأنت عمهما ! هو – هو !

لوكا (الى بيبيل ، بصوت مخفوض) : كفاك زعيقاً ، أسمعت ؟ المرأة تموت . وفي وسعك أن ترى لون الأرض على شفتها منذ الآن . إهدأ !

بيبيل : احتراماً لك ، يا جدي . أنت انسان حصيف ، يـــا جدي . أنت تكذب بصورة جميلة . . ومن الغبطة أن يصغي المرء الى خرافاتك . هيا ، تابع أكاذيبك . ذلك حسن . فليس في هذا العالم أشياء كثيرة تبعث على السرور .

بوبنوف : أصحيح انها تموت ؟

لوكا : من الواضح انها لا تمزح .

بوبنوف : وذلك يعني انتهاء سعالها . انها تسعل سعالاً مزعجاً . وثبة مضاعفة .

ميدفيديف : تفو ! أخذك الشيطان !

بيبيل : أبرام !

ميدفيديف : من قال انك تستطيع مناداتي باسمي الأول .

بيبيل : أبرام ! هل ناتاشا مريضة ؟
ميدفيديف : وما شأنك في هذا ؟
بيبيل : قل لي : هل ضربتها فاسيليزا بقسوة ؟
ميدفيديف : ليس هذا من شأنك . تلك مسألة عائلية . من أنت حتى تدس أنفك ؟
بيبيل : فلأكن من أكون . ولكني اذا أردت فانتم لن ترون ناتاشا ثانية !
ميدفيديف (يترك الداما) : ماذا تُمخرق ؟ عمّن تثرثر ؟ تريد ان تكون ابنة أخي . . . آخ منك ايها اللص !
بيبيل : قد أكون لصاً ، ولكنك لم تضبطني !
ميدفيديف : انتظر فقط! سأضبطك تماماً ، وعاجلاً !
بيبيل : اذا ضبطتني فسيكون ذلك نهاية عشكم هذا . أفتظنني أحتفظ بفمي مغلقاً أبكم أمام المحقق ؟ سوف يكشف الذئب عن مخالبه . سوف يسألني : من علّمك أن تسرق ودلّك أين تسرق ؟ ميشكا كوستيليوف وزوجته ! من يشتري حاجياتك المسروقة ؟ ميشكا كوستيليوف وزوجته !
ميدفيديف : أنت كذاب . ولن يصدقك أحد !
بيبيل : لسوف يصدقونني لأن تلك هي الحقيقة ! ولسوف أزجّ بك في القضية ، أنت الآخر . . هَه ! لسوف أدمركم جميعاً ، يا أولاد الزنا ! لسوف ترون !
ميدفيديف (خائفاً) : كذاب ! أنت كذاب ! ماذا ألحقت بك من سوء حتى الآن ؟ وأنت ترمي بنفسك عليّ مثل كلب مجنون !

بيبيل : ماذا صنعت معي من «حسنات» حتى الآن ؟
لوكا : هكذا !
ميدفيديف (الى لوكا) : لماذا تنقنق ؟ وما شأنك في ذلك ؟ تلك مسألة عائلية !
بوبنوف (الى لوكا) : لا تدسّ أنفك ! فالأنشوطة لا تُجدل لي ولك .
لوكا (في لطف) : اني لا أفعل شيئاً . أقول فقط اذا لم يحسن المرء لجاره فهو يسيىء اليه اذن .
ميدفيديف (دون أن يدرك قصده) : حذار ! نحن هنا ، نحن جميعاً نعرف بعضنا جميعاً ، انمـــا أنت — من أنت ؟
(يسرع الى الخارج ، وقد أرسل شخيراً غاضباً)
لوكا : فارس الفرسان غاضب فيمـــا يلوح . يا سلام ! ان مشاكلكم هنا ، أيها الأخوة ، معقّدة جداً ، كما أرى !
بيبيل : لقد هرول ليتشكى لفاسيليزا .
بوبنوف : انها حماقات ، يا فاسيلي . لقد أصبحت شجاعاً اكثر من اللازم ! احذر جيداً ! حسن أن تكون شجاعاً عندما تذهب الى الغابات سعياً وراء الفطـــر ، انما لا معنى لشجاعتك ههنا . سيقتلعون رأسك في برهـــة وجيزة .
بيبيل : لا ، لن يجسر أحد على منازلـــة شاب منحدر مـــن ياروسلافل بيديه العاريتين ! ان كانوا يريدون قتالاً ، فليكن لهم ما يريدون !
لوكا : أفلا تظن من الأفضل أن تغادر هذا المكان ، أيهـــا الفتى ؟

بيبيل : الى أين ؟ تعال ، قل لي الى أين .

لوكا : حسناً ، الى سيبيريا مثلاً .

بيبيل : أنت تمزح ! لا ، شكراً . لسوف أنتظر حتى يرسلوني هم الى سيبيريا من غير تكاليف .

لوكا : أصغ الى نصيحتي ، وإذهب الى هناك ، وهنالك تجد الدرب القديمة التي يجب أن تسلكها . هم في حاجة الى أمثالك هناك .

بيبيل : لقد استبانت لي دربي منذ زمن بعيد . لقد عاش والدي معظم حياته في السجن ، وأمرني أن أقتدي به . وقد أطلقوا عليّ منذ طفولتي الباكرة لقب اللص ، أو ابن اللص . .

لوكا : سيبيريا مكان رائع ، أرض ذهبية . اذا كان المرء قوياً ، وكان يحمل رأساً جيداً فوق كتفيه ، فسوف يعيش هانئ البال كما في بيته ، مثله مثل الخيار في بيت زجاجي .

بيبيل : لماذا تروى دائماً مثل هذه الأكاذيب ، أيها الشيخ ؟

لوكا : ايه ؟

بيبيل : هل أصبت بالصمم ! قلت لماذا تروي دائماً الأكاذيب !

لوكا : وما هي الأكاذيب التي رويتها ؟

بيبيل : كل ما تقوله كذب . كل شيء خير بالنسبة اليك : هذا المكان وذلك المكان . . . حزمة أكاذيب . لماذا تسردها ؟

لوكا : صدقني الآن ، وانطلق الى هناك ، وانظر بنفسك .

وعندئذ ستشكرني على ذلك . ما معنى أن تبقى ههنا ؟ ولم تقلق هكذا وتضطرب طلباً للحقيقة ؟ فكر فقط — قد تكون الحقيقة فأساً يهوي على عنقك .

بيبيل : ذلك سواء بالنسبة الي ّ . اذا كانت فأساً ، فلتكن فأساً .

لوكا : فتى أبله ! ما جدوى ان تقتل نفسك بيدك انت ؟

بوبنوف : عمّا تتجادلان هكذا ؟ لا أدري . . . وخلف أية حقيقة تسعى ، يا فاسكا ؟ ولماذا ؟ أنت تعرف الحقيقة جيداً من تلقاء نفسك . الجميع يعرفونهـــا ويفعلون ذلك .

بيبيل : اقلع عن نعيقك فليخبرني . أعرني سمعك ، أيها الشيخ — هل اللـّه موجود ؟

(لوكا يبتسم ، لكنه لا يتفوه بحرف)

بوبنوف : الناس مثل شظايا من الخشب طافية على وجـــه النهر . . . يشيدون دارا . . . ويرمون الشظايـــا جانباً .

بيبيل : حسناً ، أثمة إله ؟ تكلم .

لوكا (في هدوء) : هو موجود ان كنت تؤمن به ، وهو غير موجود اذا كنت لا تؤمن به . كـــل ما تؤمن به هو وحده موجود .

(بيبيل يرمق العجوز في دهشة صامتة)

بوبنوف : سأذهب لتناول شايي . هيا بنـا . لنذهب الى الحانة ؟ هاي !

لوكا (الى بيبيل) : فيم تحملق ؟

بيبيل : لا شيء . اسمع . أنت تعني . . .

بوبنوف : اذن ، سأذهب وحدي . (يصل الى الباب فيلتقي فاسيليزا .)

بيبيل : وبمعنى آخر ، فأنت . . .

فاسيليزا (الى بوبنوف) : هل ناستيا هنا ؟

بوبنوف : كلا . (يخرج .)

بيبيل : هه !لقد أتت .

فاسيليزا (تقترب من آنا) : أما برحت على قيد الحياة ؟

لوكا : لا تزعجيها .

فاسيليزا : وأنت ماذا تفعل هنا ؟

لوكا : أستطيع أن أذهب . . . اذا طلبت مني ذلك !

فاسيليزا (تدنو من باب غرفة بيبيل) : فاسيا ، ثمة أمور أودّ أن أبحثها معك .

(لوكا يمضي الى الباب المؤدي الى الممر ، يفتحه ثم يقفله بعنف . ومن ثم يتسلق بحذر احدى الدكك ومن بعد الى ظهر المدفأة)

فاسيليزا (من غرفة بيبيل) : فاسيا . . . تعال الى هنا .

بيبيل : لا رغبة لي في هذا .

فاسيليزا : ما الأمر ؟ علام أنت ناقم ؟

بيبيل : أشعر بالسآمة . مللت من هذه الأمور كلها .

فاسيليزا : مللت مني أيضاً ؟
بيبيل : أجل ، أنت أيضاً . .

(فاسيليزا تشدّ وشاحها على صدرها وتذهب الى ناحية سرير آنا ، تنظر بانتباه من وراء الستائر ، ثم تعود نحو بيبيل)

بيبيل : حسناً . . هاتي ما يدور في ذهنك .
فاسيليزا : وماذا عساني أقول ؟ لا أستطيع أن أجبرك على حبي ، أضف الى ذلك أن الاستجداء ليس من طبيعتي . أشكرك لاخباري بالحقيقة .
بيبيل : أية حقيقة ؟
فاسيليزا : أنك مللت مني . أو لعل ذلك ليس صحيحاً ؟

(يحملق بيبيل فيها صامتاً)

فاسيليزا : (متقدمة نحوه) : الى ماذا تنظر ؟ أفلا تعرفني ؟
بيبيل (متنهداً) : انت جميلة جداً ، يا فاسيليزا . (تضع يدها على كتفه ولكنه يدفعها عنه .) بيد أنك لم تكسبي قلبي قط . لقد عشت معك وكل ما عدا ذلك . ولكني لم أحبك قط .
فاسيليزا (بصوت منخفض) : هكذا اذن ! حسناً . . .
بيبيل : حسناً ! وليس بيني وبينك ما نتكلم عنه ! لا شيء على الاطلاق . اذهبي عني !
فاسيليزا : أوقعت في حب غيري ؟
بيبيل : وما شأنك أنت ؟ اذا وقعت فعلاً فلن أطلب معونتك للحصول عليها .

فاسيليزا (بلهجة ذات مغزى) : مؤسف جداً . ربما «تمكنت» من مساعدتك في الحصول عليها .

ببيل (متشككاً) : الحصول على من ؟

فاسيليزا : أنت تعلم . فما معنى التظاهر ؟ لقد تعودت أن أتكلم بصراحة ، يا فاسيلي . . . (مخفضة صوتها) لن أنكر ذلك — فأنت جرحت شعوري . لكأنك ضربتني بسوط من دون سبب أو مبرر . قلت انك تحبني ، ثم بغتة . . .

ببيل : ليس بغتة . مضى على ذلك وقت طويل . أنت بلا قلب ، يا امرأة . يجب أن يكون للمرأة قلب . نحن الرجال وحوش ، وينبغي لكنّ . . . ينبغي لكنّ أن تروضننا وتعلمننا . . فهل علمتني شيئاً في يوم من الأيام ؟

فاسيليزا : عفا اللّه عما سلف . أعلن أن الانسان لا يملك من أمر نفسه شيئاً . اذا لم تعد تحبني فسأتقبل ذلك . هذا ما سيكون . . .

ببيل : اذن انتهى ما بيننا الآن ! واننا نفترق بسلام دون أية فضائح . هذا حسن !

فاسيليزا : لا ! انتظر لحظة ! لا تنس أني ترجيت دائماً ، عندما كنت أعيش معك ، أن تساعدني على طرح هذا النير عن عنقي . حسبت أنك ستساعدني على التخلص من زوجي ، من عمي ، من كل هذه الحياة ، ولربما لم أحبك أنت كما أحببت هذا الرجاء ، هذه الفكرة التي

راودتني . أفهمت ؟ كنت أنتظرك كي تنتزعني بعيداً عن هذا كله .

بيبيل : لستِ مسماراً ، ولستُ كمّاشة . . . أنا أيضاً حسبت أن امرأة بمثل حذقك — فأنت حاذقة . . . أنت امرأة ثاقبة الفكر . . .

فاسيليزا (تميل اليه مقتربة منه) : فاسيا ، تعال — وليساعد كل منا الآخر .

بيبيل : كيف ؟

فاسيليزا (خافضة الصوت ، ولكن بعزم) : شقيقتي . . . أنا أعرف أنك تحبها .

بيبيل : وهذا ما يدفعك الى ضربها بوحشية ؟ حذار ، يا فاسيليزا ! ارفعي يديك عنها !

فاسيليزا : مهلاً ! لا تغضب . في وسعنا تدبير الأمور في هدوء وسكينة ، من غير جنون أو خبل . ما رأيك في أن — تتزوجها ؟ لسوف أعطيك مالاً بالاضافة — ثلاثمائة روبل . واذا حصلتُ على غيرها ، فسأعطيك اياها أيضاً .

بيبيل (يتحرك مبتعداً) : مهلاً ! كيف هذا ؟ وما وراء ذلك ؟

فاسيليزا : ساعدني على التخلّص من زوجي . أبعد تلك الأنشوطة عن عنقي .

بيبيل (يصفر في لطف) : هذه هي القضية اذن ! أو — هو ! أنت حاذقة ! حقاً ! زوجك في القبر ، وعشيقك في السجن ، وأنت . . .

فاسيليزا : فاسيا ! لماذا السجن ؟ لا تفعل ذلك بنفسك ،

استأجر انساناً آخر يقوم بهذا العمل ، ولنفرض أنك فعلت ذلك بنفسك ، فمن عساه يعرف ؟ ناتاشا . . . فكر في الأمر ملياً . . . ستحصل على المال . . . وتذهب الى جهة ما . . . وسأكون حرة الى الأبد . . . أمـــا شقيقتي – فمن الأفضل بالنسبة اليها أن تفرّ مـــن وجهي . يصعب عليّ أن أراهـــا طوال الوقت ! هي آلمتني بسببك ، وأنا لا أقوى على كبح زمام نفسي . فأعذبها . وأضربها . أضربها حتى أبكي ، أنا نفسي ، شفقة عليها . . . ولكنني أضربها مع ذلك ، وسأظلّ أضربها .

بيبيل : أنت وحش ! وتتبجّحين بوحشيتك !

فاسيليزا : لا أتبجّح ، بل أقول الحقيقة . فكّر في الأمر ، يا فاسيـــا . . . طرحوك في السجن مرتين على حساب زوجي . . . على حساب نهمه وشرهه . انه يمتص دمي كالعلق – وهو يمتصه منذ أربع سنوات . أي صنف من الأزواج هذا الزوج ؟ ولا يني يعتصر ناتاشـــا ، ويعذّبها ، ويدعوها مستعطية . انه السمُّ بالنسبة الى الجميع .

بيبيل : يا لك مكّارة داهية !

فاسيليزا : كل شيء واضح كضوء النهار . يجب أن تكون أحمق حتى لا تفهم الهدف الذي أبغي .

(يدخل كوستيليوف بهدوء ، ويتقدم متسللاً .)

بيبيل (الى فاسيليزا) : أخرجي !

فاسيليزا : فكّر في القضية . (تلمح زوجهـــا) ماذا تبغي ؟ أجئت تطلبني ؟

(ينهض بيبيل واثباً ويحملق في كوستيليوف بوحشية .)

كوستيليوف : هذا أنا . . . أنا بالذات ! أنتما هنا . . . وحيدان ! هم – م . . . أتتحدثان ؟ (يشرع فجـــأة بضرب الأرض بقدميه ، وهو يزعق) عليك اللعنة ، يا فاسيليزا ! . . أنت ، يا مستجدية الأكف ! يا وغدة ! (يذعر لصياحه والصمت الجليدي الذي استقبل بـــه الصياح .) يا الهي ، اغفر لي ! انـــك تقودينني الى الخطيئة من جديد ، يا فاسيليزا ! وهأنذا أفتش عنك في كل عطفة ومنحنى . . . (يزعق ثانيـــة) حان وقت النوم ! وقد نسيت مرة أخرى أن تملئي قنديـــل الأيقونة ، ألا لعنك اللّه ! أيتها الخنزيرة ! أيتهـــا المستعطية ! (يرعّص اصبعه في وجههـــا . تتجـــه فاسيليـــــزا ببطء صوب باب الممر ، وهي تراقب بيبيل)

بيبيل (الى كوستيليوف) : أخرج من هنا ! أقول لك أخرج !

كوستيليوف (صائحاً) : انني السيّد هنا ! عليـــك أنت بالخروج ، أيها اللص !

بيبيل (بصوت قاس) : قلتُ لك انقلع يا ميخائيل !

كوستيليوف : لا تجسر ! لسوف أرينّك ! لسوف . . .

(يقبض عليه بيبيل من ياقته ويهزّه . وعلى حين بغتـــة ، يُسمع رجل يتحرك فوق المدفأة ، ويتثاءب بصوت مرتفع

ممدود . يترك بيبيـــل خناق كوستيليوف الذي يركض الى الممر وهو يصرخ)

بيبيل (يقفز على الدكة التي بجانب المدفأة) : من هناك ؟ من يرقد على المدفأة ؟

لوكا (يمد رأسه) : ايه ؟

بيبيل : أنت ! ؟

لوكا : أنا . أنا نفسي . آه ، يا الهي يسوع المسيح !

بيبيل (يقفل باب الممر ، ويفتش عن متراسه حواليه فلا يجده) : يا للشيطان ! اهبط اليّ ، أيها الشيخ !

لوكا : حالاً ! اني قادم اليك !

بيبيل (بخشونة) : فيمَ تكوّمت على المدفأة ؟

لوكا : وأين تريدني أن أتكوّم ؟

بيبيل : رأيتك تذهب الى الممر !

لوكا : ذلك مكان بارد بالنسبة الى عجوز مثلي .

بيبيل : هل سمعت . . . شيئاً ؟

لوكا : بالطبع سمعت . وكيف لا أسمع ؟ أو لعلك حسبتني أطرش ؟ آه ، أيها الفتى ، الحظ يعترض طريقــــك . أنت محظوظ .

بيبيل (بريبة) : أنا محظوظ ؟ لماذا ؟

لوكا : أنت محظوظ لأني تكوّمت على تلك المدفأة .

بيبيل : ما الذي جعلك تحدث تلك الضجة الصاخبة ؟

لوكا : بدأت أستشعر دبيب الحرارة في جسدي . ويمكن أن تكون شاكراً لي على ذلك . جال في فكري أن ذلك الفتى

قد ينسى نفسه الآن . ويستلّ آخر أنفاس ذلــك العجوز .

بيبيل : كنت أستطيع ذلك بالطبع . لكم أكره . . .

لوكا : أنا أعرف . أهذا صعب ؟ ليس صعباً على الاطلاق . ما أكثر ما يرتكب الناس مثل هذه الهفوات !

بيبيل (مبتسماً) : ماذا تقول ؟ لعلك ارتكبت مثل هذه الهفوة مرة في حياتك ؟

لوكا : إسمع ، أيها الفتى ، اسمعني . ابتعد عن تلك المرأة ! اهرب من طريقها . اهرب ! لسوف تتخلص من رجلها ذاك دون مساعدتك ، وبصورة أفضل مما تستطيــع أنت . صمّ أذنيك عن صوت تلك الشيطانة ! أنظر اليّ ! ألا ترى أنني أصلع الراس ؟وما سبب هذا ، يا ترى ؟ النساء ! عرفت من النساء عدداً يفوق ما في فروة رأسي من شعر . لكن فاسيليزا هذه أشرّ من أية غولة !

بيبيل : لا أدري هل يجب أن أشكرك ، أم . . .

لوكا : لا تقل شيئاً . فأنت لن تجد أفضل من الكلمات التي نطقتُ بها . اصغ اليّ – تلك المرأة التي تحب هنا ، خذها من يدها ، أمام الجميــع ، ثم الى الأمام سر ! أهرب من هنا ! وابتعد أقصى ما تستطيع !

بيبيل (مكتئباً) : لا سبيل الى معرفة الناس – أيهــم طيب وأيهم شرير . لا سبيل الى المعرفة .

لوكا : ماذا تريد أن تعرف ؟ المرء لا يبقى على حاله دائماً .

كل شيء مرتبط بكيف يخفق قلبه . فهو اليوم صالح ، وغداً شرير . لكن اذا كانت تلك الفتاة تؤثر فيك حقاً ، فما عليك الا الرحيل معها ، وَضَعْ حداً لكل شيء . والا فارحل وحدك . فما تزال شاباً بعد . وأمامك متسع من الوقت للحصول على امرأة .

بيبيل (يمسك به من كتفه) : لحظة ، قل لي لماذا تفعل هذا . . .

لوكا : انتظر برهة . دعني وشأني . اريد القاء نظرة على آنا ، هنالك . لقد كانت تتنفس بصعوبة كبيرة قبيل دقيقة واحدة . (يذهب الى سرير آنا ، ويزيح الستائر ، ويتطلع اليها ، ثم يمسكها بيده . بينما يراقبه بيبيل باهتمام ، مبلبل البال .) ارحمنا ، يا الهي يسوع المسيح ! ألا تتقبَّل برحمة نفس عبدتك آنا .

بيبيل (مخفوض الصوت) : ماتت ؟ (ينتصب ، ويرنو الى السرير دون أن يقترب منه .)

لوكا (بلطف) : انتهى الآن عذابها . أين هو رجلها ؟

بيبيل : أظنه في الخمّارة .

لوكا : يجب اخباره .

بيبيل (مرتعداً) : انني أكره الجثث .

لوكا (يذهب الى الباب) : وماذا يُحبُّ فيها ؟ يجب أن نحب الاحياء . . . نحب الاحياء . . .

بيبيل : سأتي معك .

لوكا : هل تخاف من جثمانها ؟

بيبيل : أكرهه .

(يهرعان خارجاً . المسرح فارغ صامت . أصوات صماء مجهولة تجيء من خلف باب الممر . يدخل الممثل)

الممثل (دون أن يغلق الباب ، وانما يقف على العتبة ، مستنداً بيديه الى درفتيه ، ويصيح) : هاي ، أيها العجوز ! أين أنت ؟ تذكرتُ الآن ! فإسمع ! (يتقدم خطوتين مقلقلتين ، ويتخذ وقفة مسرحية ، ويتلو) :

ايها السادة ! اذا لم يكن ثمة ممر
الى مملكة الحقيقة المقدسة .
فاحترموا اذن العقل المجنون
الذي يحمل للناس الأحلام المحلّقة !

(تظهر ناتاشا على الباب خلف الممثل)

الممثل : أيها الشيخ !

اذا رفضت الشمس غداً
أن تضيء دروب أرضنا بأشعتها
فلسوف تضيء العالم غداً
فكرة تنبثق من ذهن مجنون .

ناتاشا (تضحك) : يا للأبله ! لقد شربتَ كثيراً .

الممثل (يستدير اليها) : آه ، هذه أنت ؟ أين هو ، ذلك الشيخ ؟ ذلك الشيخ الظريف ؟ لا انسان ههنا ، فيما يبدو . وداعاً ، يا ناتاشا ! الوداع !

ناتاشا (تدخل الغرفة) : أتقول وداعاً قبل أن تقول مرحباً ؟

الممثل (يسدّ عليها الدرب) : انني – راحل . سأسافر . حين يطل الربيع لن أكون . . .

ناتاشا : دعني أمرّ . الى أين راحل أنت ؟

الممثل : أفتش عن مدينـــة – وأتداوى . يجب أن ترحلي بدورك . أوفيليا ، هيا اسرعي الى الدير ! يبدو أن ثمة مستشفى لمداواة العضويات – للسكارى . مكان رائع . مرمر . . . أرضـــه من مرمر أيضاً ! مضيء جداً ، ونظيف وفيه وفرة من طعام . كل هذا دون ثمن . والأرض المرمرية ، تصوري ذلـــك . لسوف أعثر عليها ، وأشفي ، ومن جديد . . . أنا على وشـــك الولادة من جديد ، كما قال الملك . . . الملك لير ، يا ناتاشا . . اسمي المسرحي سفيرشكوف زافوLجسكي ، لكن أحداً لا يعرف هذا . لا أحد . ههنـــا ليس لي اسماً . تستطيعين ان تفهمي مبلغ ما في هذا من ألم - أن يفقد الانسان اسمه ؟ ان للكلاب ذاتها أسماء . .

(تدور ناتاشا حول الممثل بهدوء ، وتقترب من سرير آنا ، وترنو اليها من خلال الستار)

الممثل : لا اسم – فلا انسان اذن .

ناتاشا : أنظر ! لقد ماتت ، يا عزيزتي !

الممثل (يهز رأسه) : لا يمكن هذا .

ناتاشا (تعود أدراجها) : أي والله ! أنظر .

بوبنوف (على الباب) : أنظر الى ماذا ؟

ناتاشا : آنا ماتت .

بوبنوف : لقد انقطعت عن السعال أخيراً . (يخطو الى سرير آنا ، يتطلع عبر الستار ، ثم يتجه الى مكانه .) يجب اخبار كليش . ذلك من شأنه .

الممثل : سأذهب . سأقول . . . لقـــد فقدت اسمهـــــا ! (يخرج)

ناتاشا (من وسط الغرفة) : وأنا أيضاً . . . في يوم مـــن الأيام . . . على هذا الغرار . . . مطرودة الى قبو . . . مضعضعة .

بوبنوف (ينشر بعض الأسمال على أخشاب دكته) : ما هذا ؟ ماذا تغمغمين ؟

ناتاشا : كنت أفكر بصوت مرتفع .

بوبنوف : تترقبين فاسيا ؟ حاذري ! سوف يدق عنقك فاسيا ذاك .

ناتاشا : سواء عندي : من يدق عنقي ؟ فليكن هو الاحرى .

بوبنوف (يضطجع) : ذلك شأنك .

ناتاشا : موتها شيء حسن ، انتهت آلامها . . . لكنــه يثير الشفقة . يا ربي ! فيم يعيش الانسان ؟

بوبنوف : الجميـــــع على حدّ سواء : يولدون ، يعيشون ، يموتون . . . لسوف أموت . وأنت أيضاً . ففيـــم الشفقة ؟

(يدخل لوكا ، والتتري ، وكريفوي زوب ، وكليش . كليش آخر من يدخل ، يسير على مهله وقد انحنى ظهره .)

ناتاشا : هس — س — س ! آنا . . .

كريفوي زوب : عرفنا . فلتنعم بالسلام ، الآن وقد ماتت .

التتري (الى كليش) : ينبغي جرّها الى الخارج . ينبغي جرّها الى الممر . لا يمكن أن نترك أمواتاً ههنـــا . الأحياء ينامون هنا .

كليش (في صوت هادئ) : سنجرّها خارجاً .

(يتقدمون جميعاً من السرير . كليش يرنو الى زوجته مـــن فوق اكتاف الآخرين)

كريفوي زوب (الى التتري) : أتظن رائحتها ستنتشر ؟ ليس فيها ما تفوح رائحته . فلقد جفّت وهي على قيـــد الحياة بعد .

ناتاشا : يا الهي الطيب ، كان يمكن ان يأسى احدكم لها على الأقل ! كان يمكن أن يقول أحدكم على الأقل كلمـــة طيبة ! آخ منكم !

لوكا : لا تبالي بهم ، يا فتاتي . . . لا بأس . كيف يُنتظر منهم . . . يُنتظر منا الشفقة على الأموات اذا كنا لا نرثي للأحيـــاء ؟ آه يا عزيزتي ! اننا لا نرثي حتى لأنفسنا ، فما بالك بالاموات !

بوبنوف (يتثاءب) : وبالاضافـــة ، فأنت لا تخيفين الموت بالكلمات . . . تستطيعين أن تخيفي المرض ، وليس الموت !

التتري (مبتعداً) : ينبغي استدعاء الشرطة .

كريفوي زوب : الشرطة بكل تأكيد . كليش ! هل أخبرت الشرطة ؟

كليش : كلا . يتوجب دفنها . ولستُ أملـــك غير أربعين كوبيكاً .

كريفوي زوب : ماتت زوجتك ، فإستدن شيئاً . نستطيع أن نجمع تبرعاً – خمسة كوبيكات من كل فرد – أو أي شيء يستطيع المرء ان يدفعه . انمـــا أسرع وأخبر الشرطة والا ظنوا أنك قتلتهـــا أو . . . (يمضي الى الدكة ويستعد للاضطجاع الى جانب التتري .)

ناتاشا (تذهب الى دكة بوبنوف) : سأحلم الآن بها . انني أحلم دائماً بالأموات . انني أخشى الذهاب الى البيت وحيدة . فالظلمة دامسة في الممر .

لوكا (يتبعها) : يجب أن تخافي من الأحياء فقط ، صدقيني .

ناتاشا : قدني الى الخارج ، يا جدّاه .

لوكا : تعالي ، تعالي . . . سأصحبك .

(يخرجان . فترة صمت)

كريفوي زوب : أو – هو – هو ! حَسَنَ ! لسوف يطـــلّ الربيع عمّا قريب ، يا رفيقي ! وعندها نشعر بالدفء . ان الفلاحين في القرى يصلحون منذ الآن محاريثهـــم ومسلفاتهم . فهم يستعدون لحراثة التربة . وَيْ . ونحن ؟ ايه ، حسن . انـــه ينام ، ذلـــك التتري الملعون .

بوبنوف : ان التتريين ينامون جيداً .
كليش (يقف وسط الدار ويتطلـــع الى شيء ما امامــه ببلاهة) : ماذا أفعل الآن ؟
كريفوي زوب : نم ، هذا كل ما في الأمر .
كليش (في هدوء) : وماذا عنها ؟

(لا أحد يجيب . يدخل ساتين والممثل)

الممثل (يصيح) : أيها الشيخ ! تعال ، يا خلّي الوفي !
ساتين : أفسحوا الطريق لميكلوخو-ماكلاي * !
الممثل : لقد عزمتُ وقررتُ ! أيها الشيخ ! أين تلـــك المدينة ؟ أين أنت ؟
ساتين : فاتا مورجانا ! العجوز كذب عليك . ليس هناك شيء من هذا القبيل ، لا مدينة ، ولا ناس . لا شيء عـــلى الاطلاق !
الممثل : كذّاب !
التتري (يقفز من مكانه) : أين المعلم ؟ سأذهب الى المعلم . اذا لم نكن نستطيع النوم ، فلن ندفـــع مالاً . . أموات . وسكارى . (يخرج بسرعـــة . ساتين يصفر وراءه .)
بوبنوف (ناعساً) : هيا الى الفراش ، يا فتيان . كفوا عن الضجيج . من المفروض أن ينام المرء ليلاً .

---

* رحالة روسي شهير . **الناشر** .

الممثل : آه ! ههنا يضطجع جثمان ! «لقد اصطادت شبكتنا جثة ! . .» شعر . . . من بيرانجيه !

ساتين (يصيح) : الجثة لا تسمع شيئاً ! الجثـــة لا تحسّ شيئاً ! فصيحوا وازعقوا ما طاب لكم ! فالجثة لا تسمع شيئاً !

(يظهر لوكا على عتبة الباب)

ستار

الفصل الثالث

زاوية من فناء مليئة بشتى النفايات ومفروشة بالاعشاب . في اعماقها جدار مرتفع من الآجر يسد السبيل الى رؤية قطعة من السماء . على طول الجــدار تنمو ادغال بيلسان . الى اليمين جدار اسود لبناء خشبي – لعله مخزن او اسطبل . الى اليسار جدار منزل كوستيليوف بقبوه ، وهو رمادي اللون ، تغطيه بقايا جص ، ينتصب في خط منحرف ، بحيث تبلغ زاويته البعيدة مركز المسرح تقريباً ، فلا تترك سوى ممر ضيق بين الحائط الآجري وجدار المنزل . ثمة نافذتان في جدار المنزل ، احداهما للقبو تقــع على مستوى المسرح ، والاخرى تعلو عليها قرابة نصف متــــر ، وتقـــع اقرب الى الحائط الآجري . على طول جدار المنزل تستلقي كتلـــــة خشبية يبلغ طولها مترين تقريباً ، والى جانبها مزلجة خشبية قديمة مقلوبة رأساً على عقب . ألواح خشبية بالية وأحطاب تشكل كوماً قرب البناء الى اليمين . النهار على وشك الافول ، وشعاعات الشمس الراحلة تضيء الجدار الآجري ببريــــق أحمر . انه مطلع الربيع ، والثلج قد ذاب منذ فترة قصيرة ، فالاغصان السود للبيلسان ما برحت عارية عن كل برعم او ورقة خضراء . ناتاشا وناستيا تقتعدان الكتلة الخشبية . لوكا والبارون يجلسان على المزلجة . كليش يضطجع على كوم الاخشاب الى اليمين . يُرى وجــــه بوبنوف في نافذة القبو .

ناستيا (تغمض عينيها ، تهز رأسها في ايقاع متناسب مع سردها لقصتها) : وهكذا جاء ، والليل في مؤتنفه ، الى الحديقة ، الى العريشة ، حسب الخطة التي رسمناها . وكنت أنتظره منذ زمن طويل ، حتى كنت أرتعش خوفاً وحزناً . وكان يرتعش بدوره ، ابيض اللون كرقعة الورق العذراء ، يحمل في احدى يديه مسدساً . . .

ناتاشا (وهي تقرش حبوب عباد الشمس) : وَيْ ! صحيح اذن ما يقال من ان الطلبة مفعمون شجاعة .

ناستيا : وقال لي بصوت مخيف : ياحبي الثمين . . .

بوبنوف : هُوْ – هُوْ ! تقولين ثمين ؟

البارون : إخرس ! اذا لم يعجبك الحديث فلا تسمع ، لكن لا تقاطع الكذب . تابعي !

ناستيا : وقال لي : يا ثمينتي ، يا محبوبتي ! وقال : لن يسمح لي اهلي ابداً بالزواج منك . وقد هددوني ان يلعنوني الى الابد بسبب حبي لك . وقال ! ولذا يجب ان أنتزع حياتي بيدي . وكان يحمل ذلك المسدس الكبير المحشو بعشر رصاصات . وقال لي : الوداع ، يا هوى فؤادي . لا سبيل الى تغيير عزمي . لا أستطيع الاستمرار في الحياة من دونك ! فقلت له : اواه ، يا صديقي المعبود . . يا راوول ! . .

بوبنوف (في دهشة) : ماذا ؟ ما اسمه ؟ جراوول ؟

البارون (مقهقهاً) : تنسين ، يا ناستيا ! كان اسمه غاستون في المرة السابقة !

ناستيا (تقفز على قدميها) : اخرسوا ، ايها الجيف !

انتم . . . ايها الجراء الشريرة ! لكأنكم تفهمون معنى الحب – الحب الحقيقي . لكنني – عرفتـــه ، الحب الحقيقي ! (الى البارون) وانت ، أيها اللاشيء التافه ! ايها الانسان المثقف . المدعـــي احتساء القهوة في فراشك !

لوكا :انتظروا لحظة ! لا تقاطعوها الآن ! دعوها تكمـــل قصتها . ليست الكلمات هي الشيء المهم ، بل مـــا يجثم خلف هذه الكلمات – هذا هو الاساس . تابعي ، يا فتاتي ، ولا تبالي بهم .

بوبنوف : تابعي قصتك ، يا غراباً يريد ان يكون طاووساً .

البارون : ماذا حدث بعدئذ ؟

ناتاشا : لا تأبهي لهم . فمن هم هؤلاء ؟ انهم يغارون فقط لانه ليس لهم شيئاً من اقاصيص يروونهـــا عـــن انفسهم .

ناستيا (تقعد ثانية) : لا أريد ان أكمل ! لن اخبركـــم بأي شيء بعد الآن . ما داموا لا يصدقون ، بل يضحكون مني . . . (تتوقف عن الحديث بغتة ، وتلوذ بالصمت لحظة ، ومن ثم تغلق عينيها ، وتتابع الحديث بصوت عال منفعل ، وهي تضرب بيدها وتلوّح وكأنها تصغي الى ألحان موسيقية تتدحرج من البعيد .) وقلت له : يا فرح حياتي ! يا شمس نفسي ! وانا لا استطيـــع ايضاً الاستمرار في الحياة من دونك . . . لانني أحبك بكل جوانحي ، وسأظل متيمة بهواك طالما هذا القلب يخفق بضرباته في جوف هذا الصدر . انما لا تضع حداً

لحياتك التي يريدها اهلك الأعزاء ، يحتاجون اليهـــا بشدة بما انك الفرح الوحيد الذي يملكون . اطرحني عنك ! يفضل ان تذوي حياتي شوقاً اليك وحنيناً ، يا أعزّ محبوب ! انني وحيدة . انني لست ذات قيمة . الافضل ان تتحطم حياتي . فذلك سواء عندي ! فأنا لا أساوي شيئـــاً . . . ولم يتبـــق لي شيء . . . لا شيء . . . (تغطي وجهها بيديها وتنتحب بصمت .)

ناتاشا (تستدير عنها ، وتتكلم بصوت خافت) : لا تبكي . يجب الا تبكي .

(لوكا يبتسم ويمسح على رأس ناستيا)

بوبنوف (ضاحكاً) : انها شيطانة ! ها ؟

البارون (ضاحكاً هو الآخر) : أتظن ذلك حقيقة ، يا جداه ؟ ذلك كله مستوحىً من ذلك الكتاب «الحب القاتل» . . هراء كثير ! دعها وشأنها !

ناتاشا : وما شأنك انت ؟ اخرس طالما اللّه خلقك هكذا !

ناستيا (مغتاظة) : ايتها النفس الضائعة ! ايهـــا اللاشيء التافه ! اين قلبك ؟

لوكا (يمسك ناستيا من يدها) : هيا بنا ، يا عزيزتي . لا تلقي اليهم بالاً . لا تغضبي ! أنـــا أدري . أنـــا أصدقك . انت على حق ، امـــا هم فعلى ضلال . اذا آمنت انك احببت ذلك الحب الحقيقي ، فقـــد أحببت بالفعل . أحببت حقاً ! انما لا تغضبي من صاحبـــك .

لعل الغيرة هي ما يحمله على الضحك . لعله لم يعرف قط ذلك النوع الحقيقي من الحب ! ولعله لم يعرف شيئاً على الاطلاق . تعالي !

ناستيا (تضغط يديها على صدرها) : صدقني ، يا جداه ! أقسم ان هذا ما حدث ! . . كل شيء تفوهت به . . . كان طالباً . فرنسي الاصل . . يسمونه غاستون . وكانت له لحية سوداء ، وكان يلبس حذاء من الجلد اللميع . . فلأمت تواً ان لم تكن الحقيقة ما أقول . ولشدّ ما كان يحبني ! لشدّ ما كان يحبني !

لوكا : أدري ، أدري ، أصدقك ، أقلت حذاء من الجلـــد اللميع ؟ يا اللّه ، يا اللّه ! وقد أحببته ايضاً ؟

(يختفيان خلف الزاوية)

البارون : يا للفتاة البلهاء ! قلبها طيب ، لكنها بلهاء بصورة لا تطاق .

بوبنوف : ما الذي يدفع المرء الى الكذب هكذا ؟ يكذب كأنه يقف امام المحقق . وشرفي !

ناتاشا : لعل الكذب ابعث على الغبطـــة والانشراح من قول الحقيقة . انا أيضاً . . .

البارون : انت ايضاً ؟ ماذا عندك ؟ !

ناتاشا : أظل أحلم وأحلم . وأنتظر .

البارون : ماذا تنتظرين ؟

ناتاشا (تبتسم في شيء من الارتباك) : لا أدري . أفكر ان غداً قد يجيء أحدهـــم . . انسان غير عادي . . او ان

شيئاً سيحدث شيئا غير مألوف . فاظل أحلم وأنتظر . أنتظر دائماً . . أما الواقع فماذا يمكن للمرء ان ينتظر؟

(فترة صمت)

البارون (بابتسامة معوجّة) : لا ينتظر شيئاً ! فأنا ، مثلاً ، لا أنتظر شيئاً ، فكل شيء انقضى . مرّ . انتهى . ماذا ايضاً ؟

ناتاشا : او . . أتخيل اني سأموت غداً على حين فجأة وكل شيء يصبح بعد ذلك بارداً في أعماقي . الصيف وقت صالح لتصور الموت ، بسبب عواصفه الرعدية ، فقد يغتالك البرق في اية لحظة .

البارون : انت تعيشين حياة بائسة ، وكل ذلك خطيئة اختك – فهي ذات مزاج شيطاني !

ناتاشا : ومن يعيش حياة جيدة ؟ كل امرئ يعيشها رديئة فاسدة – أنا أرى ذلك .

كليش (كان قد ظل حتى الآن مضطجعاً دون حراك يبدو وكأنه منعزل عن البقية ، ولكنه ينتفض لدى سماعه هذه الكلمات) : كل امرئ ؟ هذا كذب ! ليس كل امرئ . لو كان كل امرئ لما كان ذلك مؤلماً حتى هذه الدرجة .وعندئذ لا يعود المرء يبالي !

بوبنوف : اي شيطان نخسك هذه المرة ؟ كم نبحت !

(يعود كليش فيستلقي ثانية ، وهو يهمهم بينه وبين نفسه)

البارون : الافضل ان أذهب فأصالح ناستيا . فاذا لم أفعل ، فلسوف تمسك عني الدراهم اللازمة للشراب .

بوبنوف : هم — م . . لشدّ ما يتعشـــق الناس الكذب ! فالأمر واضح حين تكذب ناستيـــا . لقد اعتادت ان تصبغ بوزها ، فظنت ان في وسعها فعل ذلك بروحها ايضاً . تزين روحهـــا بالحمرة . لكن لماذا يكذب الآخرون ؟ لوكا ذلك مثلاً . . انه يكذب كثيراً دون ان يحصل على اية فائدة من ذلك . وهو رجل عجوز . ماذا يبغي من ذلك ؟

البارون (يفلت ضحكة قصيرة مبتعداً) : نفوسهم ، جميعاً ، حقيرة سوداء ، وهم جميعاً يودون ان يزينوها بقليل من الحمرة .

لوكا (يدخل من وراء الزاويـــة) : فيم تثير تلـــك الفتاة باستمرار ، يا سيدي ؟ دعها تهنأ في بكائها . ان كان يسرّها ان تسيل عبراتها ، فأي أذى ، اذن ، ينالك من تلك العبرات ؟

البارون : هذا سخيف ، ايها الشيخ ! وهي تثير الأعصاب . اليوم هو راوول ، وغداً غاستون . . ولكن القصة لا تتغير ابداً . على كل حال ، انا ذاهب لأتصالح معها . (يخرج)

لوكا : هيا اذهب . كن رقيقاً لطيفاً معها ، فليس يؤذيك قط ان تكون لطيفاً مع المرء .

ناتاشا : انت تملك قلباً طيباً ، يا جداه . ما الذي يجعلك لطيفاً الى هذا الحد ؟

لوكا : أتقولين لطيفاً ؟ حسناً ، اذا كنت ترينني على هذا الغرار . (أنغام ناعمـــة لاكورديون ، وصدى غناء ، يأتيان من خلف الحائط الآجري .) يجب ان يوجد في هذا العالم انسان لطيف . يجب ان يحدب على الناس . لقد أحبّ المسيح جميع الناس ، وعلمنـــا ان نحذو حذوه . وأستطيع ان أقول لك عن حق انك كثيراً ما تستطيعين انقاذ انسان ما اذا اشفقت عليه في الوقت المناسب . مثال ذلك حين كنت حارساً ليلياً في مزرعة قروية تخص أحد المهندسين قرب مدينة تومســـك . وتلك المزرعة كانت تنتصب وسط الغابات . المكان خاوٍ . حسناً ، كان الزمن الشتاء ، وكنت وحيـــداً في تلك المزرعة . . ولقد كان ذلك رائعاً ! وذات يوم سمعت ضجة صاخبـــة – ان بعض الناس يقتحمون المكان !

ناتاشا : لصوص ؟

لوكا : نعم ، كانوا لصوصـــاً يقتحمون الدار . . تناولت بندقيتي وخرجت اليهم . . وهناك وجدتهم ، وكانـــا اثنين . . منهمكين في فتح احدى النوافذ حتى لم يفطنا لمجيئي . وصحت فيهما : «هاي أنتما ! اخرجا مـــن هنا !» فاستدارا اليّ يحملان فأساً فحذرتهما : «اذا برحتما مكانكما أطلقت النار !» ووجهت فوهة بندقيتي الى أحدهما ثم الى الآخر . . . فركعا على ركبتيهما ، واستعطفاني السماح لهما بالذهاب . أما أنا ، فكنت مجنوناً ذلك الحين . . . بسبب تلك الفأس ، فقلت

لهما : «طردتكما أيها الجنيان ، لكنكما رفضتما الذهاب» . وقلت لهما : «فليذهب أحدكما ويقتطع غصناً كبيراً من تلك الادغال» . فجلبا الغصن المطلوب . فقلت : «فليركع أحدكما ، وليجلده الآخر» . وهكذا جلد كل منهما الآخر طبقاً لأوامري . وعندما انتهت عملية الجلد ، قالا لي : «ايها الجدّ ، اعطنا شيئاً نأكله بحق المسيح . لقد كنا نمشي وبطوننا فارغة خاوية» . . . اليك هؤلاء اللصوص ، يا عزيزتي ! (يضحك .) واليك تلك الفأس ايضاً ! كانا شابين رائعين طيبي القلب . قلت لهما : «لماذا لم تأتيا وتطلبا مني شيئاً تأكلانه منذ البداية ، يا شيطانين ؟» فقالا : «سئمنا السؤال وتعبنا منه . فقد سألنا والحفنا في السؤال وليس من يعطينا شيئاً وهذا يؤلمنا !» . . . وعاشا معي ، بعد ذلك ، طوال الشتاء . وكان أحدهما ، واسمه ستيبان ، يأخذ البندقية ويضرب في ارجاء الغابات طيلة النهار . أما الآخر ، وينادونه ياكوف ، فكان مريضاً طوال الوقت ، ويسعل على الدوام . . . وكنا نحرس ، نحن الثلاثة ، تلك المزرعة . وعندما جاء الربيع توجها اليّ قائلين : «الوداع ، يا جد» . وهكذا مضيا يسعيان الى ربوع روسيا .

ناتاشا : هل كانا مجرمين هاربين ؟

لوكا : نعم مجرمان هاربان . هاربان من المكان الذي نفيا اليه . ولقد كانا شابين رائعين ! لو لم اشفق عليهما لامكن ان يردياني قتيلاً . او يرتكبا شيئاً لا يقل عن

ذلك شراً ، الامر الذي يعني اذن المحاكمة ، والسجن ، وسيبيريا . ما الفائدة ؟ السجن لا يعلّم الانسان ما هو حق ، وسيبيريا لا تعلّم الانسان ما هو الحق . . لكن الانسان يعلّمك هذا . . نعم ! يستطيع ان يعلمك ما هو حق ، وبطريقة سهلة يسيرة !

(فترة صمت)

بوبنوف : هم — م . أما أنا . . . فلست أجيد الكذب . ولم أكذب ؟ أنطق الحقيقة كاملة ، الحقيقة كما هي ! هذا هو رأيي ! فممَّ أخجل ؟

كليش (يقفز من جديد على حين بغتة وكأن النار تلسعه ، ويصيح) : الحقيقة ؟ اية حقيقة ؟ اين هي ؟ (ينتش الأسمال التي تغطيه) اليكم الحقيقة ! لا عمل ! لا قوة . هذه هي الحقيقة ! لا مأوى ! حتى ولا سقف يخصني . لم يتبق شيء سوى الموت كما يموت الكلاب . هذه هي الحقيقـــــة ، يا للشيطان ! ماذا أبغي من وراء حقيقتك ؟ كل ما أبغيه فرصة أستطيع التنفس فيها ! أستطيع استنشاق نفسٍ من الحياة ! أي شر ارتكبت ؟ وماذا أفعل بحقيقتك ؟ ليست هنالك فرصة للحياة ، يا للعنة ! وهذه هي حقيقتك !

بوبنوف : انظروا كيف تأثر هذا الفتى !

لوكا : يا يسوع المسيـــح ! لكن اسمـــع ، يا صديقي . انت . .

كليش (يرتعش هياجاً) : جميعكم ، في هذا المكان ، تثرثرون حول الحقيقة ! وانت ، أيها الشيخ ، تحاول مؤاساة الجميع ! اريد ان اصارحك بحقدي على الجميع ! وعلى الحقيقـة ، فلتكن ملعونـة الى الابد ! هل تفهم ؟ حاول ان تفهم ! فلتذهب حقيقتك الى الجحيم ! (يركض خلف زاوية الجدار ويتطلع الى الخلف)

لوكا : يا اللّه يا اللّه ، يا اللّه ! لشدّ ما هو مضطرب ، هذا الشاب ! الى اين ذهب ؟

ناتاشا : انه كمَن طاش صوابه .

بوبنوف : هذا جيد ! وكأنه فصل من مسرحية . هذا يحدث من حين لآخر . انه لم يعتد على الحياة بعد .

بيبيل (يدخل على مهله من خلف زاويـــــة الدار) : السلام عليكم ، ايها الاخوان ! حسناً ، يا لوكا ، أيها العجوز الداهية ، أفما زلت تسرد خرافاتك ؟

لوكا : أود ان ترى ذلك الرجل الذي يصيح لتوه هنا !

بيبيل : مَنْ ، كليش ؟ ما باله ؟ صادفته راكضاً وكأنما الشيطان يهرول في أعقابه .

لوكا : كل انسان يركض مثله حين يتأثر قلبـــه على هذا الغرار .

بيبيل (وهو يتخذ مجلسه) : لا أحب ذلك الفتى . . . فهو شرير ومتعجرف جداً . (يقلّد كليش .) «أنا — أنـــا رجل عامل» . وكأن هذا يجعله أفضل من اي انسان آخر . إمضِ واشتغل اذا أردت . ولكن ، فيم عجرفتك وتكبرك ! اذا كانت جدارة الانسان رهناً بمقدار العمل

الذي يفعله ، فالحصان أفضل من اي انسان اذن . . . يظلُّ يجرّ ، دون ان ينبس بكلمة . ناتاشا ! هـــل عشيرتك في الدار ؟

ناتاشا : ذهبا الى المقبرة ، ويزمعان حضور صلاة المســـاء بعد ذلك .

بيبيل : ولذلك فليس لديك ما تفعلين الآن ! يا للدهشة !

لوكا (يستدير الى بوبنوف ، وعليـــه مسحـــة التفكير) : الحقيقة ، تقول ؟ الحقيقـــة لا تشفي دائماً من ادواء رديئة . فأنت لا تستطيـــع دائماً ان تعين نفســـاً بالحقيقة . فمثلاً كان ثمة قضية كهذه مرة : رجل ما أعرفه يؤمن بالمدينة الفاضلة .

بوبنوف : يؤمن بماذا ؟

لوكا : بالمدينة الفاضلة . كان يقول : «لا بدّ من وجود مدينة فاضلة في هذا العالـــم» . . . وكان يفكر «ان بشراً خاصين يقطنون تلك المدينة — بشراً طيبين ، بشراً يحترمون بعضهم بعضاً . ويساعدون بعضهـــم بعضاً في كل عمل وبكل بساطة . وتجـري كل الامور عندهم على ما يرام» . وهكذا فكر هذا الرجل في البحث عن تلك المدينة الفاضلـــة . كان فقيراً يعيش حياة شاقة قاسية . وكانت الامور تؤول احيانـــاً الى حال سيئة حتى لتحسبه يستسلم ، بل كان يبتسم لنفسـه ويقول : «لا بأس ،فأنا أستطيع تحمل ذلك . سأنتظر فترة اخرى ، ومن ثم أهجر هذه الحياة وأرحـــل الى

المدينة الفاضلة» . تلـــك كانت فرحته الوحيدة في الحياة – ايمانه بالمدينة الفاضلة .

بيبيل : حسناً ، وهل وصل الى هناك ؟

بوبنوف : اين ؟ هُوْ – هُوْ !

لوكا : ومن ثم نفوه الى المكان الذي يعيش فيه – هذا كله حدث في سيبيريـــا – رجـــلاً متبحرا في العلـــم والثقافة . . . مع كتبه ومصوراته ، وجميع الاشياء الاخرى التي ترافق انساناً مثقفاً مثلـــه . وقال هذا الرجل المسكين لرجل الثقافة والعلم ذلك ، ، قال له : «كن لطيفاً وأخبرني اين تقع تلك المدينة الفاضلة ، وكيف أصل اليها» . واذ ذاك أمسك الرجل المتبحر في العلم كتبه ، وفتح مصوراته ، وتطلع وتطلع ، لكنه لم يستطع ان يجد تلك المدينة الفاضلة في أي مكان . ان كل شيء في محله ، وكل الاراضي موجودة عـــلى المصورات ، لكن المدينة الفاضلة لا توجـــد في أي مكان !

بيبيل (في صوت مهموس) : أنت تمزح ! لا توجـــد في أي مكان ؟

(بوبنوف يضحك)

ناتاشا : كفَّ عن ضحكك . وما بعد ، يا جداه ؟

لوكا : ما كان الرجل يستطيع ان يصدق ذلك . وقال : «لا بدَّ ان تكون في مكان ما . . . تمعن اكثر لانه اذا لـــم

يك ثمة مدينة فاضلة فسائر مصوراتك وكتبك لا قيمة لها اذن» . فلم يرق هذا للرجل المتعلم ابداً . فقال : «ان مصوراتي افضل المصورات ، انما لا يوجد مثل تلك المدينة الفاضلة التي تتحدث عنها» . عندئذ ثار الرجل المسكين : ماذا يجري ؟ لقد ظل يعيش ويعيش هنا ، ويتحمل كل شيء ، لانه متأكد من وجود مثل ذلك المكان . ولكن ها انه يتبين الآن ، استناداً الى المصورات ، ان ليس ثمة مثل ذلك المكان مطلقاً ! ذلك غش ، ذلك خداع ! قال للرجل المثقف : «وانت . . . انت ، ايها الحقير ! انت وغد لئيم ، ولست متعلماً أبداً !» وضربه على اذنه – طق ! ثم لكمة أخرى – طق ! (بعد فترة صمت .) وبعد ذلك أسرع الى بيته وشنق نفسه !

(الجميع يصمتون . يرنو لوكا ، وهو يبتسم ، الى بيبيل وناتاشا)

بيبيل (بصوت مخفوض) : اللعنة ! تلك قصة لا تبعث على المرح !

ناتاشا : لم يتحمل الرجل ان يُخدع .

بوبنوف (مكتئباً) : كل هذا تلفيق . . .

بيبيل : وَيْ . . . اذن فقد تبين ان ليس ثمة مدينة فاضلة !

ناتاشا : ذلك الرجل يبعث على الشفقة .

بوبنوف : كل هذا تلفيق وبهتان ! هـْ - هُو ْ ! مدينة فاضلة ! هذا كله من مخترعات رأسه ! هو - هو !
(يختفي من النافذة)

لوكا (يشير بحركة من رأسه الى نافذة بوبنوف) : إنه يضحك ! بخ ، بخ ، بخ ! (صمت .) حسناً ، يا أصحاب ، أتمنى لكم الخير . لسوف أغادركم عن قريب .

بيبيل : الى اين انت ذاهب ؟

لوكا : الى اوكرانيا . سمعت انهم بدأوا ايماناً جديداً هنالك ، فيجب ان ألقي نظرة . أجل ! البشر يبحثون باستمرار ويريدون أبداً شيئاً أفضل . فليهب لهم اللّه شيئاً من الصبر !

بيبيل : هل تعتقد انهم سيجدون ما يبحثون عنه ؟

لوكا : تقصد البشر ؟ من دون ريب ! من يطلب ، يجد . . من يريد شيئاً بشدة يحصل عليه دائماً .

ناتاشا : آه ، لو انهم يجدونه فقط ! لو انهم يبدعون حياة أفضل !

لوكا : سيبدعون ! سوى أنه ينبغي لنا ان نساعدهم ، يا عزيزتي . يجب ان نحترمهم لسعيهم .

ناتاشا : كيف أستطيع ان أساعدهم ؟ أنا نفسي في حاجة الى مساعدة .

بيبيل (بعزم) : لسوف أتحدث اليك من جديد ، يا ناتاشا . لسوف أطلب منك مرة اخرى . هنا ، أمامه ، فهو يعرف كل شيء . تعالي معي !

ناتاشا : الى اين نذهب ؟ الى السجون ؟

بيبيل : أخبرتك أني سأقلع عن السرقـــة . اقسمت امام السماء أني سأقلع عنها . . واذا قلت ذلـــك مرة ، فسأفعله بكل تأكيد . اني أعرف القراءة والكتابـة . وسوف أشتغـــل . . قال أني يجب ان أذهب الى سيبيريا بمحض ارادتي ، فهل نذهب ؟ ما ؟ او تظنين أني لا اكره هذه الحيـاة وأحقـــد عليهـــا ؟ اواه ، يا ناتاشا ، اني افهم . . اني أرى ذلك كلــه وأعزي نفسي بالقول ان الناس المزعومين شرفـــاء يسرقون أكثر بكثير مما أسرق أنا . لكن ذلك لا يفيد . ليس ذلك ما أريد . لست آسف على شيء ولست اؤمـــن بالضمير . لكنني أشعر بشيء واحـــد : ليس هذا اسلوباً للحياة . يجب ان يعيش الانسان حياة أفضل ، يجب ان يعيش كيما يستطيع ان يحترم نفسه !

لوكا : نطقت بالصواب ، يـا عزيزي ! فليساعدك اللّه ! فليتغمدك المسيح بعطفه . هذا كلام صائب : ينبغي للانسان ان يحترم نفسه .

بيبيل : كنت لصاً منذ طفولتي الباكرة ، وكان الجميـــع ينادونني دائماً بفاسيا اللص ؛ فاسيا ، ابن اللص . هذا هو رأيكم اذن ؟ لا بأس اذن ، كذلـــك سوف اكون – لص ! أتفهمين ؟ ولربما أصبحت لصاً نكاية . ولربما انا لص لان انساناً لم يفكر ابداً في مناداتي باسم آخر . ربما ستنادينني انت يا ناتاشـــا ؟ لو انك . . .

ناتاشا (حزينة) : لا أصدق جميع هذه الاقوال . وأنا مضطربة اليوم . وقلبي يثب ويثب وكأنه يتوقع حدوث أمرٍ ما . ما كان يجب ان تثير هذا الموضوع اليوم ، يا فاسيا . .

بيبيل : ومتى اذن ؟ ليست هذه المرة الاولى التي قلت فيها ذلك .

ناتاشا : ولمَ أذهب معك ؟ أما أني احبك – فلا أستطيع ان أقول اني أحبك كثيراً . قد استلطفك احياناً ، وفي احيان اخرى لا أستطيع رؤية وجهك . . أعتقد اني لا أحبك . عندما تحب انساناً ما ، فأنت تعمى اذن عن الشر الذي فيه . . لكنني أرى هذا الشر فيك .

بيبيل : لا تخافي . ستحبينني ! لسوف أعوّدك على نفسي ، لا ترفضي فقط ! لقد راقبتك مدة نيفت على السنة حتى الآن . وأرى انك فتاة جادة طيبة . . مخلوقة يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها . . اني أحبك حباً جماً ، يا ناتاشا .

(تظهر فاسيليزا في النافذة في أتم زينتها ، وتقف مرهفة اذنيها ، معتمدة على اطار النافذة)

ناتاشا : انت تحبني أنا اذن – وماذا عن اختي ؟

بيبيل (مرتبكاً) : حسناً ، ماذا عنها ؟ هنالك كثيرات من مثيلاتها .

لوكا : لا تفكري في هذا ، يا بنتي . حين لا يجد المرء خبزاً يلتهم العشب .

بيبيل (مكتئباً) : اشفقي عليّ . ليست هذه حياة . . انهـــا حياة كلب ، خالية من كل فرح أو سرور . كأنمـــا في مستنقع . . حيث ينهار كل شيء تمسك به لانـــه متعفّن . وشقيقتك تلك – ظننت انهـــا غير ما هي عليه . لو لم تك شرهة جشعـــة تحب المال لفعلتُ المستحيل من أجلها . لو انها تكون ملكاً لي بكليتها . لكنها أرادت شيئاً آخر – مالاً . . وارادت ان تكون مطلقة العنان . . مطلقة العنان تعيش حياة فاجرة . ما كانت تستطيع مساعدتي . انما انت – انت أشبـــه بشجرة شابة تخز أغصانها لكنها تكبح جماحي . . .

لوكا : وأنا أنصح لك : تزوّجيه ، يا فتاتي . فهو ليس شاباً رديئاً . ذكريه فقط – بصورة دائمة – انـــه انسان طيب ، فلا ينسى ذلك ابداً . لسوف يصدّقك . قولي له فقط ، بصورة دائمة : «فاسيا ، انت انسان طيب . فلا تنس هذا !» وفكري يا عزيزتي : هل لديك مخرج آخر ؟ شقيقتك تلك حيوانة خسيسة . أمـــا زوجها – فالعجوز أسوأ من ان تعبر الكلمات عـــن ذلك . . هكذا هي الحياة كلها هنا . هل لديك مخرج آخر ؟ ثم هو شاب قوي .

ناتاشا : ليس هنالك مخرج آخر لي . أعرف ذلك . لقـــد فكرت في الأمر ملياً . إنما – لست أصدق احداً . ومـــع هذا ليس هنالك مخرج آخر .

بيبيل : بلى ، هنالك مخرج ، لكنني لن ادعك تسلكين هذا السبيل ، بل اقتلك بالاحرى .

ناتاشا (مبتسمة) : لم أصبح زوجتك بعد ، وهذا انت على استعداد منذ الآن لأن تقتلني .

بيبيل (يحوطها بذراعيه) : إنسي هذا ، يا ناتاشا ! كل شيء على ما يرام !

ناتاشا (تشدّ نفسها اليه) : يجب ان أطلعك على شيء واحد ، يا فاسيا . . وأقسم عليه امام اللّه . اول مرة ترفع فيها يدك عليّ او تسيىء اليّ بأي وسيلة اخرى فلن أبقي على نفسي . . إما أن اقتل نفسي او . .

بيبيل : فلتجفّ يدي وتسقط اذا رفعتها عليك !

لوكا : لا تقلقي ، يا عزيزتي ، فهو يحتاج اليك اكثر مما تحتاجين اليه .

فاسيليزا (من النافذة) : وهكذا تمت الخطوبة ! من الآن فصاعداً حب ، وشرف ، وطاعة !

ناتاشا : لقد عادا ! آه ، يا رب ! لقد رأيانا ! آه يا فاسيا !

بيبيل : مم تخافين ؟ لن يجرؤ احد على لمسك الآن !

فاسيليزا : لا تقلقي ، يا ناتاشا ، فلن يضربك . ليس هو في الضرب أفضل منه في الحب . أنا أعرف ذلك !

لوكا (في صوت مخفوض) : هذا المرأة ! انها الأفعى بالذات !

فاسيليزا : انه لا يجيد سوى القاء خطب حلوة .

كوستيليوف (يدخل) : ناتاشكا ! ماذا تفعلين هنا ، ايتها الكسول ؟ تنشرين القيل والقال ؟ تشكين أهلـــك وعشيرتك ؟ ولم تهيئي السماور بعـــد ؟ ولم تجهزي المائدة ؟

ناتاشا (خارجـــة) : ولكنكـــم عزمتـــم على الذهاب الى الكنيسة . .

كوستيليوف : نياتنا ليست من شأنك ! واجبك ان تنجزي عملك ، ان تقومي بما 'أمرتْ' به .

بيبيل : اخرس ! فهي ليست خادمتك بعد الآن ! ناتاشا ، لا تذهبي ! ولا تفعلي لهم شيئاً !

ناتاشا : لا تصدر أوامرك اليَّ . فلم يحن وقتـــك بعد . (تخرج .)

بيبيل (الى كوستيليوف) : دعها وشأنها ! لقد فعلت بها ما تشاء كفاية . هي لي الآن .

كوستيليوف : لك ؟ متى اشتريتها ؟ وكم دفعت ثمناً لها ؟

(فاسيليزا تضحك)

لوكا : اذهب من هنا ، يا فاسيا .

بيبيل : انتبهي ، والا انقلب ضحكك بكاء مريراً !

فاسيليزا : ما أشد خوفي ! اني خائفة حتى الموت !

لوكا : إمضِ من هنا ، يا فاسيا ! أفلا ترى انها تثيرك ، وتحاول اغاظتك ؟ فاهم ؟

بيبيل : آه . . نعـــم . هى تكذب . انت تكذبين ! لن تسير الاشياء على هواك .
فاسيليزا : وانا لا اريدها ما لم تكن على هواي ، يا فاسيا !
بيبيل (يهز قبضته في جهتها) : سوف نرى ! (يخرج .)
فاسيليزا (وهي تختفي عن النافذة) : سوف أهيئ لـــك زواجاً مناسباً !
كوستيليوف (يقترب من لوكا) : ماذا بك ، أيها العجوز ؟
لوكا : لا شيء ، ايها العجوز !
كوستيليوف : يقولون انك راحل عنا ؟
لوكا : لقد آن اوان الرحيل .
كوستيليوف : اين تذهب ؟
لوكا : سأتبع أنفي .
كوستيليوف : تتابع طوافك وتجوالك . . أيضنيك البقاء طويلاً في مكان واحد ؟ ايه ؟
لوكا : يقولون : في الحركة بركة .
كوستيليوف : لكن على المرء ان يقيم في مكان واحـــد . لا يفترض في البشر ان يعيشوا كالصراصر - يذهبون هنا وهناك وفي كل مكان . ينبغي للمرء ان يبني لنفســه عشاً في مكان ما ، والا يكون غريباً في كل مكان .
لوكا : وماذا لو شعر المرء انه في عشه حيثما القى نفسه ؟
كوستيليوف : ذلك يعني انه صعلوك ومخلوق عديم النفع . يجب ان يكون ثمة نفع من الانسان . يجب ان يعمل .
لوكا : ويْ !
كوستيليوف : أجل والا كيف ؟ مـــن هو الحاج الغريب ؟

الحاج الغريب هو شخص غريب ، شخص لا يشبهه غيره من البشر . فاذا كان حاجاً مطلعاً ، حاجاً يعرف شيئاً او شيئين – اشياء لا يهتم احد بمعرفتها – حتى لو كانت هذه الاشياء هي الحقيقة – فليست كل حقيقة يحتاج اليها الناس . فليحتفظ بها لنفسه . واذا كان حاجاً صميمياً ، فلسوف يمسك بلسانه . او يتحدث بحيث لا يفقه انسان واحد ما يتحدث عنه . وينبغي الا يطلب تغيير الأوضاع ، والا يتدخل في أي شيء ، والا يكدر البشر ويزعجهم بغير سبب معقول . ليس من شأنه كيف يحيا الناس . بل واجبه ان يعيش حياة تقية ورعة . يجب ان يكتهف احد الكهوف في غابة لا يراه فيها انسان . لا حق له في التدخل في امور الناس ، او ادانة أحد . انما يجب ان يصلّي من اجل الجميع . . من اجل خطايانا الدنيوية جميعاً – خطاياي وخطاياك وخطايا الجميع . ولذا يتخلى عن خيلاء هذا العالم وباطله – وهكذا يستطيع الصلاة . (صمت .) اما انت – اي نوع من الحجاج انت ؟ انت لا تحمل جواز سفر . . والرجل المحترم الفاضل يجب ان يحمل جواز سفر . جميع الناس المحترمين الافاضل يملكون جوازات سفر . . . هكذا !

لوكا : بعضنا بشر ، وبعضنا مجرد مخلوقات .

كوستيليوف : دعنا من ذكائك الآن ، دعنا من أحجياتك . أعتقد اني واياك سواء في الذكاء . ماذا تقول – بشر ومخلوقات ؟

لوكا : ترى انها ألغاز وأحجيات ؟ كنت أقول انـــه ما دام هناك تربة قاحلة عقيم ، وهناك تربة مثمرة خصبة . فان كل ما تزرع في التربة المثمرة الخصبة يجب ان ينتج ثماراً . هذا كل شيء .

كوستيليوف : حسناً ، وما نتيجة هذا ؟

لوكا : لنأخذك انت مثلاً . لو ان الرب الآلـــه نفسه قال لك : «يا ميخائيــل ! كن مخلوقاً بشرياً !» فلن يغير ذلك في الامر شيئاً . اذ انك ستظل مثلك الآن .

كوستيليوف : هِمْ . . هــل تعرف ان عمّ زوجتي شرطي ؟ فإذا أنا . . .

فاسيليزا (تدخل) : الشاي جاهز ، يا ميخائيل ايفانوفيتش !

كوستيليوف (الى لوكا) : إسمع ما أقول : إخرج من هنا . اخرج من منزلي !

فاسيليزا : أجل ، يفضل ان ترحل ايها العجوز ! فلسانك طويل . من يدري ، قد تكون مجرماً فاراً .

كوستيليوف : إنقشع من هنا هذا اليوم ، والا سأ . .

لوكا : والا ستنادي عمك ؟ هيا ناده . وقل له انك قبضت على مجرم هارب . لعلّ العـــم ينال مكافأة – ثلاثـــة كوبيكات .

بوبنوف (يطل من النافذة) : أتبيعون شيئاً ؟ ما هذا الذي بثلاثة كوبيكات ؟

لوكا : انهم يهددون ببيعي .

فاسيليزا (الى زوجها) : تعال !

بوبنوف : بثلاثة كوبيكات ؟ انتبه ، ايها الشيخ . سيبيعونك بكوبيك واحد .

كوستيليوف (الى بوبنوف) : فيم نظرت كذا – مثل العفريت الذي يظهر من تحت المدفأة ! (يخرج وزوجته .)

فاسيليزا : ما اكثر ما في هذا العالم من لصوص وغشاشين !

لوكا : ارجو لكما شاياً هنيئاً !

فاسيليزا (تستدير اليه) : إمسك لسانك ، ايها الفطر المقفّع ! (تختفي خلف زاوية الدار مع زوجها .)

لوكا : سأرحل الليلة . .

بوبنوف : هذا حسن . فالرحيل في الوقت المناسب خير دائماً .

لوكا : هذا خير ما قيل .

بوبنوف : أنا أعرف ما أقول . لقد رحلت في الوقت المناسب . وذلك ما أفلتني من الاشغال الشاقة على ما يظهر .

لوكا : حقاً ؟

بوبنوف : أجل ، تلك هي الحقيقة ! واليك كيف حدث ذلك : تورطت زوجتي مع اسطى في محلي . كان معلماً قديراً . . بارعاً في صبغ جلود الكلاب وتحويلها الى جلود راكون . . وجلود القطط ايضاً – الى جلود قنقر . . وفأر المسك . . او أي شيء آخر يعجبك . كان شاباً ذكياً . فعقدت زوجتي صلات معه . . وتعلقا ببعضهما بشدة حتى لم يكن لي بدّ من الحرص كيلا يدسا لي السم ، او يتخلصا مني بطريقة اخرى .

وكنت أضرب زوجتي في بعض الاحيان – وعند ذاك كان المعلم يضربني . كان مقاتلاً جباراً . وذات مرة اقتلع نصف لحيتي وكسر احد اضلاعي . وكثيراً ما كنت افقد صوابي ايضاً . وقد ضربت زوجتي مرة بالمسطرة الحديدية على راسها . فاشعلت نيران حرب ضروس . لكنني أدركت ان لا فائدة ترجى من كل ذلك – فلا بدّ ان يتغلبا عليّ . وهكذا عزمت على قتل زوجتي ، وفكرت في الأمر ملياً . ولكنني تمالكت نفسي في الوقت المناسب ، ورحلت عن المكان .

لوكا : هذا افضل ما كان يمكن ان تعمل – تتركهما وشأنهما يحيلان جلود الكلاب الى راكون على هواهما .

بوبنوف : لكن المحل كان يخص الزوجة – وقد ظل كذلك . أما أنا فبقيت لا أملك شروى نقير ، كما تراني . ولكن الحقيقة أني كنت أشرب المحل كله لو بقيت . فان عندي هوساً للشرب .

لوكا : هوس الشرب ؟ اها !

بوبنوف : انني سكير مفترس ! فاذا بدأت أشرب ، شربت كل شيء الا جلدي . وانا كسول . لست تتصور كم ابغض العمل .

(يدخل ساتين والممثل يتجادلان)

ساتين : هراء ! لن تذهب الى اي مكان . . كل هذا هذيان . ايها الشيخ ! اي هذيان صببت في أذن هذا الفتى ؟

الممثل : هذا كذب ! اخبره ، يا جداه ، انه يكذب . سوف أذهب . لقد اشتغلت اليوم – كنّست الشارع . ولم أشتف قطرة واحدة . تصور ! هذه هي – كوبيكاتي العشرة وأنا صاح !

ساتين : هراء ! هيا ، اعطنيها . لسوف اشربهـــا . . او أخسرها في لعبة ورق .

الممثل : أبعد يديك ! هذا جزء من ثمن تذكرة السفر .

لوكا (الى ساتين) : لماذا تحاول ابعاده عن جادة الصواب ؟

ساتين : «قل لي ، ايها الساحر ، يا صفي الآلهة ، اي مصير يخبئه لي القدر ؟» * أفلست ، يا أخي ! خسرت آخر كوبيك ! لكن ما يزال للعالم رجاء بعد ، يا جدي – فهنالك نصابون اذكى مني بعد .

لوكا : انت فتى مرح ، يا قسطنطين ، ولطيف ايضاً .

بوبنوف : ايها الممثل ! تعال اليّ !

(يتجه الممثـــل صوب النافذة ويقرفص ويبدأ حديثاً مـــع بوبنوف في صوت مخفوض)

ساتين : كنت مسلياً عندما كنت صغيراً . جميل ان أستعيد تلك الذكريات . كنت شاباً طيباً ! أرقص رقصـــاً رائعاً . وأمثل على المسرح . وأضحك الناس دائماً . كنت شاباً ظريفاً .

---

* من «قصيدة عن اوليج الكاهن» لبوشكين . **الناشر** .

لوكا : وكيف تحولت عن تلك الطريق ، ايه ؟
ساتين : يا لك من مخلوق فضولي ، أيهـــا الشيخ ! تحب معرفة كل شيء فلماذا ؟
لوكا : أحب ان أفهم مشاكل الناس . لكنني لا أفهم شيئاً عندما أنظر اليك . فأنت فتى رائع ، يا قسطنطين ، وذكي ايضاً . ومع ذلك . . .
ساتين : السجن فعل بي ذلك ، ايها الجد ! قضيت اربـــع سنوات وسبعة اشهر في السجن . وليس من سبيـــل بعد السجن .
لوكا : او – هو ! ولماذا القوا بك في السجن ؟
ساتين : لاني قتلت وغداً . قتلتـــــه في ثورة من الغضب والاستياء . وتعلمت لعب الورق في السجن .
لوكا : قتلته من اجل امرأة ؟
ساتين : من اجل شقيقتي بالذات . انما كفاك تدخلا في امور لا تعنيك . فلست أحب ان توجه الاسئلة اليّ . وكل هذا حدث منذ زمن بعيد ، بعيـــــد جداً . اختي . . ماتت . . قبل تسع سنوات . كانت اختي انسانة رائعة لطيفة ، يا صاح !
لوكا : انك تنظر الى الحياة بسهولة ! اما صانع الاقفال فلا يتحملهـــا هكذا ويعـــوي هنا فتـــرة ! آي – ي – ي ! . . .
ساتين : كليش ؟
لوكا : هو نفسه . لقد صاح : «ليس ثمة عمـــل ! لا ، لا شيء !»

ساتين : سيعتاد ذلك مع الزمن . حسناً ، ماذا أفعل بنفسي الآن ؟

لوكا (في لطف) : انظر ! ها هو ذا قادم .

(كليش يدخل على مهل ، محني الرأس)

ساتين : هاي ، انت ايها الارمل ! ما بال رأسك غارقاً بين ركبتيك ؟ فيم تفكر ؟

كليش : أفكر في ما سوف أعمل . ليس لدي أدوات . بعتها جميعاً من اجل الجنازة .

ساتين : اقبل نصيحتي ولا تفعل شيئاً . كن وقراً على كتف العالم . .

كليش : لا يضيرك شيئاً ان تتكلم . لكنني أستشعر الخجل امام الناس . .

ساتين : إطّرحْ ذلك ! فالناس لا يخجلون لانك تعيش حياة قمينة بكلب . فكر ملياً في الامر . تكف انت عن العمل ، واكف انا عنه . ويكف المئات والالوف . ويفعل الجميع الشيء ذاته ! أتفهم ؟ سنكفُّ عن العمل جميعاً . ولن يحرك اي انسان ساكناً ليصنع شيئاً ! وماذا سيحدث بعدئذ ؟

كليش : سنموت جميعاً من الجوع .

لوكا (الى ساتين) : يجب ان تنضم الى «الهاربين» ما دمت

تفكر هكذا . . هنالـــك بعض الناس الذين يسمون «الهاربون» * .

ساتين : أدري . وليسوا بمجانين على كل حال ، يا جداه .

(يسمع من نافذة جناح كوستيليوف صدى عويل ناتاشا : «فيم هذا ؟ كفى ! . . ماذا فعلت ؟»)

لوكا (مضطرباً) ناتاشا ؟ أهي التي تصرخ على هذا الغرار ؟ ها ؟ اوخ . .

(تجيء من جناح كوستيليوف أصوات ، ضجة صاخبة وصدى صحون تتكسر ، وصيحات كوستيليوف الثاقبة : «يا كلبة ! يا عاهرة !»)

فاسيليزا : انتظر ! دعني أفعل ! لسوف أرينّها ! خذ هذا ! وهذه !

ناتاشا : انهما يضربانني ! يقتلانني !

ساتين (يصيح امام النافذة) : هاي ، أنتم هناك !

لوكا (يركض هنا وهناك) : فاسيا ! لو انكم تبلغون فاسيا ! يا الهي ! ايها الناس الطيبون ! يا اخوان !

---

* اعضاء شيعة دينية اسسهـــا «يفيمي» الجندي الهارب في اواخر القرن الثامن عشر . وقد اعتقد مريدوه انه لا بد ، «لانقـاذ ارواحهم» ، من قطع كل العلاقات مع المجتمع والتخلي عن العائلـــة والهرب الى الاماكن النائية المقفرة . **الناشر** .

الممثل (يركض الى الخارج) : هأنـــذا . لســـوف أذهب وأحضره .
بوبنوف : ما أكثر ما ضرباها في المدة الاخيرة .
ساتين : تعال ، ايها الشيخ . سنكون شاهدين .
لوكا (يتبع ساتين) : اي شاهد سيكون مني ! هذا ليس من عملي ! لو جاء فاسيا بأسرع ما يمكن ! اوخ !
ناتاشا : اختي ! عزيزتي ! فا — ا . . . .
بوبنوف : كمًّا فمها . سألقي نظرة .

(الاضطراب في جناح كوستيليوف يخفّ بعد ما انتقل مـن الغرفة الى الممر كما يبدو . يسمع صوت الشيخ : «كفى !» احد الابواب يصطفق بشدة ، فيقطع هذا عنفوان الضجيـــج مثل ضربة فأس . السكون يخيـــم على المسرح . غســـق المساء)

كليش (قابع على المزلجة المقلوبة وسيماء اللامبالاة ظاهرة عليه ، وهو يفرك يديـــه بشدة . يتفوه بشيء غير مفهوم ينتهي الى هذه الكلمات) : لكن كيف ؟ . . لا بدّ للمرء ان يعيش . (بصوت مرتفع .) انا في حاجة الى مأوى ، أليس كذلـــك ؟ ليس لدي مأوى ! ليس لدي شيء ! رجل وحيد — وحيد وحيد . ليس مـــن يساعدني .

(يذهب ببطء ، وقد تقوس بكامل جسده . يخيم صمت ينذر بالسوء بضع لحظات . ثم يجيء من الممر الضيق بين الجدار

الآجري وجـدار منزل كوستيليوف صخب غامض ينمو حتى يصير صوتاً مشوّشاً كلما اقترب . ومن المستطاع تمييز عدة أصوات متفرقة)

فاسيليزا : أنا اختها ! دعوها لي !
كوستيليوف : ألك الحق في ذلك ؟
فاسيليزا : يا مجرم !
ساتين : نادوا فاسيا ! . . اسرعوا اضربه ، يا زوب !

(تسمع صفارة الشرطي)

التتري (يدخل راكضاً ، ويده اليمنى معلقـــة بوشاح) : اي قانون هو هذا – القتل في وضح النهار ؟
كريفوي زوب (يتبعه ميدفيديف) : هاه ! لقد اعطيته ضربة رائعة !
ميدفيديف : انت – كيف تجرؤ على القتال ؟
التتري : وانت ؟ اي واجب هو واجبك ؟
ميدفيديف (يركض خلف زوب) : كفى ! أعدْ لي صفارتي !
كوستيليوف (راكضاً) : ابرام ! اقبض عليه ! . . لقـــد قتلني . .

(يجيء ، من خلف الزاوية ، كفاشنيا وناستيا وبينهما ناتاشا شعثاء الشعر . يتراجع ساتين الى الخلف ، يدفع امامـــه

فاسيليزا التي تحاول ضرب اختها ملوّحة بيديها ، واليوشكا يقفز حواليها كالعفريت ، يصفر في أذنها ، ويصيح ، ويعول .
يتبعهما عدد من النساء والرجال المتلفعين بالأسمال)

ساتين (الى فاسيليزا) : الى اين ، ايتها الافعى الملعونة ؟ . .
فاسيليزا : اليك عني ، ايها المجرم ! قد يكلفني ذلك حياتي ، لكنني سأمزقها ارباً متناثرة !
كفاشنيا (تبتعد بناتاشا) : كفى ، يا فاسيليزا ! اخجلي قليلاً ! انت تتصرفين كما لو كنت وحشاً مفترساً !
ميدفيديف (يقبض على ساتين) : آها ! قبضت عليك اخيراً !
ساتين : زوب ، اضربهم ، يا زوب ! فاسيا ! . . فاسيا ! . .

(يتحلقون قرب الجدار الآجري . يقودون ناتاشا ويجلسونها على كومة من الالواح الى اليمين)

بيبيل (يظهر فجأة من الممر ، ويروح يدفع الجميع صامتاً بحركات جبارة قوية) : اين ناتاشا ؟ انت . .
كوستيليوف (يختبئ خلف زاوية الدار) : ابرام ! إمسك بفاسكا . . يا اخوان ، ساعدوا في الامساك بفاسكا ! اللص ! السارق !
بيبيل : انت ، ايها الكلب العجوز ! (يضرب العجوز بلطمة خاطفة من ذراعه ، فيقع على الارض بحيث لا يبين منه سوى رأسه وكتفيه من خلف زاوية الدار . ويسرع بيبيل الى ناتاشا)

فاسيليزا : اضربوا فاسكا ، يا شبان ! اضربوا اللص !
ميدفيديف (يصيح بساتين) : اخرج من هنا ! انها مسألـــة عائلية ! جميعهم أقارب واهل . . ومن انت لهم ؟
بيبيل : ما الامر ؟ ماذا فعلتْ – طعنتك ؟
كفاشنيا : انظر فقط ما فعل الوحشان ! سلقا قدميها بالماء المغلي .
ناستيا : قلبا السماور عليها .
التتري : لعل ذلك لم يكن مقصوداً . يجب ان نتأكـــد . لا يمكن ان نقول هذا دون تأكد .
ناتاشا (شبه مغمى عليها) : فاسيــــا ، خذني من هنا – خبئني .
فاسيليزا : يا ربّ ! انظروا ! انه ميت ! مقتول !

(يهرع الجميع الى الممر حيث يضطجع كوستيليوف . يخلص بوبنوف نفسه من الجمع ويدنو من فاسيا بيبيل .)

بوبنوف (بصوت مخفوض) : فاسيا ! العجوز – لقد مات !
بيبيل (يتطلع اليه دون وعي) : نادِ الاسعاف . لا بدّ ان ننقله الى المستشفى . سوف أنتقم منهم لهذا !
بوبنوف : اقول ان أحدكم قتل العجوز .

(الضجة تخمد على المسرح وكأنها نار أطفأتها المياه . أصوات متفرقة تقرقع في نغمات ساكنـــة : «صحيح ؟» ، «هذا ما حدث» ، «حقاً ؟» ، «فلنهرب من هنا يا اخ» ، «يا للجحيم !» ،

«انتبهوا الآن !» ، «لنتفرق قبل مجيء الشرطـــة» . الجموع تتضاءل . يخرج بوبنوف والتتري . تهرع ناستيا وكفاشنيا الى جثمان كوستيليوف)

فاسيليزا (تنهض عن الارض وتصيـــح بصورة ظافرة) : مقتول ! هذا هو من قتل زوجي ! . . فاسكا فعل ذلك ! رأيته بنفسي ! رأيته ، يا اخوان ! . . ماذا ، يـــا فاسكا ! الشرطة !

بيبيل (يترك جانب ناتاشا) : دعوني امر . . ابتعدوا عـــن دربي ! (يلقي نظرة على العجـــوز ، ثم يستدير الى فاسيليزا) ما ؟ هل انت راضية ؟ (يلمس الجســـد بقدمه .) انتهى ، ذلك الكلب العجوز . . . حصلتِ على مبتغاك . هه . . لعلي أقتلـــك انت الاخرى ؟ (ينقض عليها . يمســـك ساتين وكريفوي زوب به بسرعة . تختفي فاسيليزا في الممر)

ساتين : فكرّ فيما تفعل !

كريفوي زوب : هش ! تروًّ !

فاسيليزا (تظهر ثانية) : اها فاسيا ؟ يا صديقي الحميم ! لن تفر من نصيبك ! . . الشرطـــة ! أبرام . . انفخ في صفارتك !

ميدفيديف : انتزع الشياطين صفارتي مني .

أليوشكا : اليكها ! (يصفر فيها ، فيركض ميدفيديف خلفه .)

ساتين (يقود بيبيل الى ناتاشا) : لا تخف ، يا فاسكا . القتل في مشاجرة لا يعني شيئاً . ولن يكلفك كثيراً .

فاسيليزا : اقبضوا على فاسكا ! لقد قتله ! رأيته بنفسي !

ساتين : أنا الآخر ضربتـــه ، ثلاث ضربات . . لم يتطلب الاجهاز عليـــه جهداً كبيراً . سأكون شاهداً ، يا فاسيا .

بيبيل : لا اريد الافلات من هذا المأزق . . أريـد ان أجرّ فاسيليزا اليه . ولسوف أجرّهـــا اليه . هذا ما أرادته . . لقد طلبت مني قتل زوجها . . طلبت مني ذلك !

ناتاشا (فجأة ، بصوت مرتفع) : آه ! . . فهمت الآن ! . . اذن ، هذه هي القضية ، يا فاسيا ! ايها الطيبون ، لقد فعلا ذلك معاً ! هو وشقيقتي قد فعلا ذلك معاً ! خططا لكل شيء معاً ! أليس كذلك ، يا فاسيا ؟ ولذلك تحدثت اليّ هذه الليلة – حتى تستطيع ان تسمــع ؟ ايها الطيبون ، إنها عشيقته . . انتم تعرفون هذا . . الجميع يعرفونه . فعلا ذلك معاً ! طلبت اليه ان يقتل زوجها . فهو يقف حجر عثرة في طريقهما . . وأنا اقف كذلك في طريقهما . . ولذا جعلا مني مقعدة .

بيبيل : ناتاشا ! . . ماذا تقولين ؟ !

ساتين : وَيْ ! اللعنة !

فاسيليزا : كذابة ! انها تكذب ! انـــا . . انه وحده . . فاسكا هو الذي قتله !

ناتاشا : فعلا ذلك معاً ! لعنكما اللّه ! انتما الاثنين .

ساتين : يا للعبة ! حاذر ، يا فاسيا ! سيغرقونك !

كريفوي زوب : لا يمكن فهم ما يجري ! اوه ! يا لها من امور !

بيبيل : ناتاشا ! أأنت حقاً . . انت جادة ؟ . . كيف تظنين اني . . واياها . .

ساتين : فكري فيما تقولين ، يا ناتاشا .

فاسيليزا (من الممر) : قتلوا زوجي ، يا صاحب السعادة . انه فاسكا بيبيل ، اللص ، هو فعل ذلك ، يا حضرة المفتش . . لقد رأيته . . . الجميع رأوه . .

ناتاشا (تضطرب وتغمغم شبه مغمى عليها) : ايها الطيبون ، انها شقيقتي وفاسكا بيبيل اللذان فعلا ذلك . استمع اليّ ، ايها المفتش . انها اختي – التى بيّنت له كيف يفعل ذلك . . هي التي اقنعته . هو عشيقها . وها هو ذا ، لعن اللّه روحه ! لقد قتلاه ! خذوهما معاً . قودوهما الى السجن ! وخذوني أنا ايضاً ! ارموني في السجن ! محبة بالمسيح . . ارموني في السجن !

ستار

الفصل الرابع

المشهد كما في الفصل الاول ، الا ان الحاجز الذي كان يؤلف غرفة بيبيل قد رُفع ، كما اختفى سندان كليش . التتري يتململ ويئن بين الفينة والفينة على دكة في الزاويــة التي كانت غرفة بيبيل . كليش جالس الى الطاولــة يصلــح اكورديوناً ، وبين فترة وفترة يعزف مجرّباً مفاتيحه . والى الطرف الآخر من الطاولة يجلس ساتين والبارون وناستيا ، وامامهم زجاجة فودكا ، وثلاث زجاجات من الجعــة ، وبعض الخبز الاسود . الممثل يتململ على سطح المدفأة ويسعل . الوقت ليــل ، المسرح مضاء بقنديــل موضوع في وسط الطاولة . الريح تصفر في الخارج وتزأر .

كليش : اختفى في ذلك الهرج والمرج . هكذا . . .
البارون : انسلّ من الشرطة مثل الدخان من النار .
ساتين : مثل الشرير من البارّ .
ناستيا : كان عجوزا طيباً ! اما انتم — انتم لستم مخلوقات بشرية . انتم — رَوْث !
البارون (يشرب) : نخب صحتك ، يا سيدتي الحلوة !
ساتين : كان عجوزاً غريب الشأن ، وناستيا هذه وقعت في غرامه .
ناستيا : نعم ، وقعت في غرامه واحببته ! هذه هي الحقيقة .

فلقد شاهد كل شيء ، وفهم كل شيء .

ساتين (ضاحكاً) : كان بالنسبة للكثيرين اشبه بالعجين لمن لا أسنان له .

البارون (ضاحكاً) : مثل اللزقة للدمامل .

كليش : لقد كان شفوقاً . اما انتم . . انتم لا تعرفون معنى الشفقة .

ساتين : وماذا تفيدك شفقتي ؟

كليش : تستطيع ان لا تشفق ولكنك لا تستطيع ان تجرح المرء .

التتري (يجلس على دكة ويروح يهزّ ذراعه المصابة كأنها طفل) : كان عجوزاً طيبا . . يعرف قانون الروح . من يعرف قانون الروح - هو صالـح . ومـن أضاع القانون - أضاع نفسه . .

البارون : اي قانون ، ايها الامير ؟

التتري : قانون مختلف . . انت تعرف ما أعني .

البارون : وبعدئذ !

التتري : لا تجرح الناس . هذا قانون .

ساتين : هذا يسمى : «قانون عقوبات واصلاح المجرمين . . .»

البارون : ومن ثم هنالك «لائحة العقوبات المفروضة من قبل قضاة الصلح . .»

التتري : القرآن قانون . . وقرآنكم قانون ايضاً . . كـل نفس ينبغي ان يكون لها قرآن . اجل !

كليش (يجرب الاكورديون) : انه يفحّ ، اللعنـة عليه ! كـلام الامير حـق . يجب ان يعيش الناس حسب

القانون . حسب الانجيل .

ساتين : حاول ذلك .

البارون : جرّب ذلك .

التتري : محمد اعطانا القرآن ، قال : اليكـــم – القانون ! افعلوا ما هو مكتوب هنا . ومر الزمن – فاذا القرآن صغير صغير . ازمان جديدة وقانون جديد . كل زمن جديد يعطي قانوناً جديداً .

ساتين : لقد حان اليوم أوان «قانون العقوبات . .» . قانون جيد صارم . . لا بدّ من انقضاء زمن طويل قبل ان يبلى .

ناستيا (تضرب الطاولة بقدح في يدهـــا) : لماذا . . لماذا أستمر في الحياة ههنا ! معكم جميعاً ؟ سأرحــــل . . سأرحل الى اي مكان . . . الى آخر الارض .

البارون : حافية القدمين ، يا سيدتي الحلوة ؟

ناستيا : عارية الجسد ! أزحف على اربعتي !

البارون : منظر جميل ، يا سيدتي الحلوة . . على اربعتك !

ناستيا : هكذا سأذهب . اجل ! سأذهب على ايـــة حال ، لأتخلص من رؤية بوزك فقط . آه ، كم انا مللت من كل شيء ! من كل انسان ومن الحياة نفسها !

ساتين : خذي الممثل معـــك يوم ترحلين . . فهو يخطط لرحلة مماثلة . لقد اكتشف لتوّه ان هناك مستشفى للعطونات قبل نهاية الارض بنصف فرسخ فقط !

الممثل (يطل برأسه من فوق حافة المدفأة) : العضويات ، يا أحمق !

ساتين : للعطونات المتسممة بالكحول . .

الممثل : اجل ! سيذهب على اية حال . سيذهب . . لسوف ترون !

البارون :من هذا الذي سيذهب ، يا سيدي الطيب ؟

الممثل : انا !

البارون : merci ، ايها المنذور للالاهة . . ما اسمهـــا ؟ الاهة المأساة ، الدراما ماذا تدعوها ؟

الممثل : عروس الفنون الجميلـــــة ، يا مغفّل ! ليست هي الاهة ، بل عروساً !

ساتين : لاشيسيس ؟ هيرا ؟ أفروديت ؟ اتروبـــــوس ؟ الشيطان وحده يدري اية واحدة منهن ! كل ذلك من صنع ذلك العجوز . لقد اهاج عواطف الممثل . انت فاهم ، يا بارون ؟

البارون : ذلك العجوز غبي .

الممثل : ايها الجهّل ! ايها البرابرة ! مي . . لبو . . مي . . نه * . ايتها المخلوقات المجردة عن القلوب ! سوف يرحل . سترون ذلـــك . «اتخموا ، ايتهـــا العقول المظلمة ! . . » هذا شعر من بيرانجيه . اجل ! لسوف يجد لنفسه مكاناً حيث لا . . لا . .

البارون : لا شيء ، يا سيدي الطيب ؟

الممثل : اجل ، لا شيء ! «تلك الحفرة ستكون قبري . أموت ضعيفاً ، عاجزاً» .ففيم تعيشون اذن ؟ فيم ؟

---

* هي الاهة المأساة عند الاغريق القدماء . **الناشر** .

البارون : كفاك صراخاً يا كين * ، ايها العبقري الفاسق !
الممثل : سوف اصرخ كما يحلو لي !
ناستيا (ترفع رأسها عن المائدة وتهز يديها) : هيا ، تابع صياحك . وليسمعوا !
البارون : ما فائدة ذلك ،يا سيدتي الجميلة ؟
ساتين : دعهما لشأنهما ، يا بارون ! فليذهبا الى الجحيم ! فليصرخا ! فليكسرا رأسيهما ، دعهما يفعلان ذلك ! لهذا معنى خاص ! دع المرء وشأنه ، على حد تعبير الرجل العجوز . . انه هو الذي وضع الخميرة في رأس جارينا ، هو الذي يشبه الخميرة القديمة بالذات . .
كليش : لقد اغواهما بمكان ما . . دون ان يدلهما على الدرب اليه .
البارون : كان العجوز دجالاً .
ناستيا : كذب ! انت الدجّال وحدك !
البارون : اخرسي ، يا سيدتي الجميلة !
كليش : اما الحقيقة — فلم يحبها . كان ثائراً جداً ضد الحقيقة . . وهذا صحيح ! عندما تفكر في الحقيقة ، فأي حديث يمكن ان يدور عنها هنا اذن ؟ الحياة خانقة كفاية بدونها . خذ الامير هنا مثلاً — سحق ذراعه اثناء العمل ، ولا بدّ له الآن ان يقطعها . هذه هي الحقيقة التي عنها تتحدث .
ساتين (يضرب الطاولة بيده) : صمتا ! انكم جميعاً من —

---

* ممثل انجليزي اشترك في تمثيل أدوار شكسبير . **المترجم** .

البهائم ! حمقى أغبياء ! كفى ثرثرة عن الرجل العجوز ! (بلطف اكثر) وانت أسوأ الجميع ، يا بارون . . انت لا تفهم شيئاً . وانت تكذب ! لم يك الرجل العجوز دجالاً . ما هي الحقيقة ؟ الانسان ! هذه هي الحقيقة ! هو عرف هذا . . اما انتم فلا . رؤوسكم اشبه بالقرميد . أنا أفهم الرجل العجوز . أجل ، أفهمه ! لقد كذب من دون ريب . لكنه يكذب رحمة بكم ، اخذكم الشيطان ! كثيرون هم الذين يكذبون بدافع الرحمة بأخوانهم . أنا اعرف . لقد قرأت كثيراً من الكتب . انهم يكذبون بصورة رائعة ، بوحي وإلهام ، فيثيرونكم اذن . ثمة أكاذيب تعزي ، تصالح المرء مع نصيبه في الحياة . الأكاذيب تجد عذراً للثقل الذي سحق ذراع العامل . اكاذيب تلوم المرء اذ يتضور جوعاً حتى الموت . . انا أعرف أكاذيبهم ! لا يحتاج الى الاكاذيب الا خائرو العزم والا الذين يعيشون عالة على الآخرين . . بعض الناس تعضدهم الاكاذيب ، وبعضهم الآخر يختفون وراءها . . اما الانسان الذي هو سيد نفسه – الانسان الذي هو – حر طليق ، والذي لا يمتصّ دماء الآخرين – فما حاجته الى الاكاذيب ؟ انما الاكاذيب دين العبيد والسادة ! والحقيقة إله الانسان الحر !

البارون : مرحى ! قول جيد ! أوافقك على كل ما قلت ! فأنت تتكلم مثل . . . انسان محترم .

ساتين : ولم لا يتكلم المخاتل احياناً مثل انسان محترم ، اذا كان انساننا المحترم هذا كثيراً ما يتكلم مثل

المخاتلين ؟ نعم . ثمة أشياء عديدة نسيتها ، إنما لما أزل اذكر شيئاً او شيئين . العجوز ؟ كان انسانـــاً ذكياً . ولقد . . أثّر فيّ مثلما يؤثر الحمض في قطعة وسخة من العملة القديمة . فلنشرب نخب صحتــه ! املأوا قدحي .

(تملأ ناستيا قدح ساتين بالجعة وتناوله اياه)

ساتين : (يضحك ضحكة قصيرة) : ذلك الشيخ يعيش بذكائه الخاص ، وهو ينظر الى الاشياء بعينيه وحدهما . قلت له ذات يوم : «جداه ، فيم يعيش الناس ؟ . .» (يقلد صوت لوكا وحركاتـــه) «يعيشون ليجعلوا حياتهـــم أفضل ، يا صديقي الطيب . لنتصور ان لدينـا مثلاً عدة نجارين — وجميعهم حثالة . ومن ثم ولد من بينهم نجار واحد — نجار لم تعرف الارض له مثيلاً ، فكسف الآخرين جميعاً ، كسفهم دون ان يستطيع احد منهم ان يضاهيه بشيء . وكان يضع طابعـــه على كل شيء يُصنع ، بحيث تقدمت تلك الحرفـــة ما يزيد على العشرين عاماً بقفزة واحدة . وهذا ينطبق على الجميع — السمكرية والاسكافيين . . وجميــع العاملين ، وسائر الفلاحين . . وحتى الاسياد . . جميعهم يعيشون من اجل الافضل ! وكل واحد يعتقد انه يعيش من اجل نفسه ، بينما هو طوال الوقت يعيش من اجل الافضل . وهم يعيشون مائة عام . . وربما اكثر ، وجميعهم من اجل الانسان الافضل» .

(ترمق ناستيا ساتين بانتباه . يتوقف كليش عن العمل في تصليح الاكورديون ويرهف اذنيه . ويحني البارون رأسه على صدره وينقر بأصابعه على الطاولة في لطف . اما الممثل فينزلق بهدوء عن المدفأة ليقتعد دكة قريبة)

ساتين : «جميعهم ، يا صديقي الطيب ، حتى الاخير منهم ، يعيشون من اجل الافضل ! يجب ان نراعي مشاعر بعضنا بعضاً . اذ اننا لا نعرف ماهية هذا الانسان او ذاك ، وفيم خلق ، وماذا في امكانه ان يفعل . . ربما كانت ولادته من حسن حظنا . . فهو قد يمدنا بمساعدة طيبة . . يجب بصورة خاصة ان نحترم الاطفال . هؤلاء الصغار . الحرية هي ما يحتاجون اليه ، اولئك الصغار . يجب الا نعترض على طريقة حياتهم ويجب ان نراعي مشاعرهم» . (يضحك في لطف . برهة صمت .)

البارون (متفكراً) : هم . . . م ! . . . في سبيل الافضل ؟ ذلك يذكرني بعائلتي – عائلة قديمة . . يعود تاريخها الى كاترين العظيمة . نبلاء . محاربون . قدموا من فرنسا . خدموا القيصر وظلوا يرتقون ويرتقون . وخلال حكم نيقولاي الاول ، وصل جدي غوستاف ديبيل . . . الى مكانة رفيعة . الثروة . . ومئات من الاقنان . . والخيول . . والخدم . . .

ناستيا : كذاب ! هذا كلام فارغ !

البارون (قافزاً) : ما . . ذا ؟ وبعد ! ؟

ناستيا : هذا كلام فارغ !

البارون (صائحاً) : قصر في موسكو ! قصر في بطرسبورج ! عربات تحمل شعار اسرتنا !

(يحمل كليش اكورديونه ويمضي الى زاوية يراقب المشهد منها)

ناستيا : هذا كلام فارغ !
البارون : صه ! عشرات الخدم ، أقول لك !
ناستيا (متلذذة) : كلام فارغ !
البارون : لأقتلنّكِ !
ناستيا (تستعد للهرب) : لم تكن هنالك عربات !
ساتين : كفى ، يا ناستيا ! لا تثيري جنونه .
البارون : انتظري فقط . . ايتها الرذيلة ! كان جدي . .
ناستيا : لم يكن لك جد البتة ! لم يكن لك شيء مطلقاً !

(يضحك ساتين)

البارون (يتهالك على مقعده وقد انهكه الغضب) : اخبرها ، يا ساتين – هذه العاهرة – او انك تضحك انت الآخر ؟ أفلا تصدّق ذلك ، انت الآخر ؟ (يصرخ في يأس ، وهو يضرب الطاولة بجمع يديه .) ذلك صدق كله ، لعنكم اللّه !
ناستيا (ظافرة) : آها ! تنوح وتزعق ! لعلك تدرك الآن ما معنى الا يصدقك احد !
كليش (يعود الى الطاولة) : كنت على يقين من ان معركة ستنشب .

التتري : آه ، ايها القوم البلهاء ! ذلك سيئ جداً !

البارون : انا . . لا أسمح ان يضحك مني الناس ! كنت املك . . . ولديّ البرهان على ذلك . لديّ وثائق ثابتة ، يا شياطين !

ساتين : دعها جانباً ! وانس قصة عربات جدك . . فهي لم تحملك ابداً ، تلك العربات المرحومة .

البارون : كيف تجسر !

ناستيا : انظر الى هذا : كيف تجسر ! أنني أجسر !

ساتين : انها تجسر كما ترى . وفيم هي أسوأ منك ؟ حتى اذا لم يكن لها عربات او اجداد ، او ام او اب ايضاً .

البارون (يستكين الى الهدوء) : اخذك الشيطان ! انت تأخذ الامور برباطة جأش دائماً . بينما انا لا أملك شخصية .

ساتين : حصّل شخصية . . هي شيء مفيد . (صمت .) ناستيا ، أذهبت الى مستشفى ؟

ناستيا : ولمه ؟

ساتين : لرؤية ناتاشا .

ساتين : تأخرت قليلاً ! فهي غادرت المستشفى منذ زمن طويل . برحته و . . اختفت . ذهبت ولم تخلّف اثراً . .

ساتين : ذلك يعني – اختفت تماماً .

كليش : اتساءل من الذي سيتغلب على الآخر ؟ فاسكا على فاسيليزا ، ام العكس ؟

ناستيا : لسوف تتخلص فاسيليزا من ذلك كله بطريقة ما .

فهي ماكرة . لكنهم سيرسلون فاسكـــا الى الاشغال الشاقة .

ساتين : لا ، بل سيحكم عليه بالسجن فقط لانـــه ارتكب جريمة قتل في معركة .

ناستيا : خسارة . يفضل ان يرسلوه الى الاشغال الشاقة — ان يرسلوكم جميعاً الى هناك . ان يكنسوكـــم جميعاً مثل النفايات . ان يرموكم في حفرة ما !

ساتين (مدهوشاً) : ماذا تقولين ؟ هل فقدت صوابك ؟

البارون : سأصفعها على اذنها . . مقابل كلامها الوقح !

ناستيا : هيا ، حاول . المسني فقط !

البارون : سأحاول ، ولن أخاف !

ساتين : كفى ! لا تلمسها . . لا تجرح مشاعر انسان ! لا أقوى على انتزاع ذلك الشيـــخ من رأسي ! (يضحك) لا تجرح مشاعر انسان ! لكن ، ماذا لو جرحوا مشاعري مرة واحدة والى الابد ؟ ماذا أفعل اذن ؟ أيفترض فيّ ان اصفح عنهم ؟ أبداً ! لا أصفح عن أحد !

البارون (الى ناستيا) : لا تنسي انك لست على قدم المساواة معي ! فأنت . . نفاية الارض !

ناستيا : اخ منك ، ايها المخلوق الساقط ! انت تحيا على حسابي . . مثل دودة على تفاحة !

(الرجال ينفجرون ضحكاً صاخباً)

كليش : يا للحمقاء ! تفاحة !

البارون : كيف يمكن لانسان ان يغضب منها ؟ هي حمقاء !
ناستيا : أتضحكون ؟ تخدعون أنفسكــم . انتم لا تشعرون بالمرح !
الممثل (مكتئباً) : هيا ، اعطيهم درساً !
ناستيا : لو كنت اقدر ! لكنت . . لكنت . . (تلتقط قدحاً وترميه على الارض) . . لكنت فعلت بكم هكذا !
التتري : فيم تكسرين الاقداح ؟ ايه . . امرأة بلهاء !
البارون (ينهض) : لا ! سوف القّنها الآن . . درساً !
ناستيا (راكضة الى الباب) : اذهبوا الى جهنم !
ساتين (يصيح خلفها) : هاي ! كفى ! من تخيفين ؟ ما معنى كل هذا على اي حال ؟
ناستيا : ذئاب ! (تخرج راكضة) لتنفقوا نفقاً ! ذئاب !
الممثل (مكتئباً) : آمين !
التتري : او – او – او ! امرأة شريرة – امرأة روسيــة . وقحــة . . متحررة جداً . اما التتريات فيختلفن عــن هذا . التتريات يعرفن القانون .
كليش : انها تحتاج الى هزة جيدة .
البارون : العاهرة !
كليش (يجرّب مفاتيح الاكورديون) : حسن ! لكن صاحبه لم يأت وراءه . . ذلك الفتى يبدد نفسه . .
ساتين : خذ ، اشرب قدحاً الآن !
كليش : شكراً ! حان وقت النوم .
ساتين : هل اعتدت علينا ؟
كليش (يشرب ، ثم يتجه صوب دكة في احدى الزوايــا) :

اظن هذا ! يتضح ان المخلوقات البشريــة تتزاحم في كل مكان . وانت لا تلاحظ هذا بادئ الامر . . ومن ثم تلقي نظرة جيدة فاذا هي هناك – المخلوقات البشرية . لا بأس !

(ينشر التتري غطاء على دكته ، ثم يجثو على ركبتيه ويروح يصلي)

البارون (ينبه ساتين الى التتري) : انظر الى هذا !

ساتين : دعه لشأنه . فهو فتى طيب . لا تزعجه . (يضحك) انا طيب القلب هذا النهار والشيطان وحده يدري سبب هذا !

البارون : طيب القلب دائماً عندما تشرب . . وتكون ذكيــاً ايضاً .

ساتين : عندما اكون سكران . . تبدو الاشياء جميعاً جميلة رائعة . انه يصلي ؟ رائع ، قد يكون الانسان مؤمناً وقد لا يكون . . كما يشاء . فذلك من شأنه وحده . فللانسان حرية الاختيار . وهو يدفع ثمن كل شيء – ثمن ايمانه ، وانكاره ، وحبه ، وكونه ذكياً . الانسان يدفع ثمن كل شيء بنفسه ، وهذا هو السبب في انه حر . الانسان ، هذه هي الحقيقة ! ما هو الانسان ؟ ليس انت ، ولا أنا ، ولا هم . لا ! لكن انت ، وأنا ، وهم ، والشيخ ، ونابليون ومحمد – جميعهم في واحد (يرسم صورة انسان في الهواء .) هل فهمت ؟ ذلك –

هائل ! يتضمن جميـــع البدايات وجميع النهايات . .
كل شيء – جزء من الانسان ؛ وكل شيء – من اجـل
الانسان ! الانسان وحده موجود ، وجميع ما تبقى من
صنع يديه وفكره فقط ! ما أعجبه ، الانسان ! ولشدّ
ما في هذه الكلمة من فخار – الانسان ! يجب ان يُحترم
الانسان . لا ان يكون موضع الشفقة . . فالشفقـــة
اهانة ! لكن ان يُحترم ! هيا ، ايها البارون ، ولنشرب
نخب الانسان ! (يقف .) ما أحسن ان تحسّ نفسك
انساناً ! وهأنذا – مجرم سابق ، قاتـــل ، نصاب –
وكل ما يتبع هذا ! عندما اعبر الشارع يظنني البشر
لصاً . . ويتحاشونني ويرمونني بنظراتهم الجانبية .
وكثيراً ما ينادونني وغداً لئيمـاً ! مخاتلاً ! ويقولون
لي : اشتغــــل ! اشتغــــل ! لماذا ؟ لأملأ معدتي ؟
(يضحك .) لطالما احتقرت الناس الذين يفكرون كثيراً
بمعداتهـــم . ليست المعدة الشيء الرئيسي ، يـــا
بارون ! ليست شيئاً رئيسياً ! فالانسان اثمن من هذا
وارفع . الانسان أرفع قدراً من معدته !

البارون (يهز رأسه) : انت تعرف كيف تفكر في الامور . هذا
جيد . فلا بدّ ان يبعث هذا الدفء في قلبك . امـــا
أنا – فلا أستطيع . ولا اعرف كيف . . (يتطلـــع
حواليـــه ، ويتحدث في همس واحتراس .) وفي بعض
الاحيان ، أشعر بالخوف . . أفهمت ؟ وارتعب . فأروح
افكر : ماذا سيحدث بعد ؟

ساتين (يراوح ويغادي) : هراء ! من الذي يخافه الانسان ؟

البارون : اسمع . بقدر ما استطيع ان اتذكر . . كان ثمة نوع من الضباب في رأسي . وما كنت استطيع قط ان أفهم شيئاً . أنا . . ذلك غريب ، ولكن . . ويؤتى لي اني قضيت حياتي بكاملهـــا وأنا ابدل ملابسي . . ولما ؟ لا أقدر ان أفهم ذلك . اولاً كنت طالبـــاً – البس زي مدرسة ابناء النبلاء . وماذا علموني هناك ؟ لست أتذكر . تزوجت . وارتديت بدلة السهرات ومن ثم الروب البيتي . لكن الزوجة التي اخترت كانت زوجة سيئة . لماذا تزوجتها ؟ لا أتذكر . ولقد بذرت جميع ما أملـــك – وارتديت معطفاً رمادياً وسروالاً باهت اللون . . كيف ضيَّعت كل شيء ؟ لا اتذكر . وعملت في مكتب حكومي – فارتديت البدلة الرسمية ، قبعة لها شعار معدني . . واختلست اموال الحكومة . وعندذاك البسوني ثياب المجرمين . . وبعـد ذلك صرت ألبس هذه الاشياء . . وهذا لكأنما في حلم . ها ؟ هل هذا مضحك ؟

ساتين : ليس كثيراً . . فهو سخيف اكثر منه مضحكاً .

البارون : هذا صحيـــح ، أظن انا الآخر انـــه سخيف . ولكن . . . لا بدّ اني خُـلِقْتُ لشيء ما . ما رأيك ؟

ساتين (يضحك) : هذا محتمل . لقد خلق الانسان من اجل الافضل . (يهزّ رأسه) كلمات طيبة !

البارون : ناستيا هذه ! الى اين فرت ؟ ساذهب والقي نظرة . وعلى اية حال ، فهي . . . (يخرج . صمت)

الممثل : يا تتري ! (صمت) ايها الامير !

(يدير التتري رأسه)

الممثل : صلِّ من اجلي !

التتري : ماذا ؟

الممثل (مخفّضاً صوته) : قل صلاة من اجلي !

التتري (بعد فترة من صمت) : صلّ بنفسك . .

الممثل (يهبط عن المدفأة بسرعة ، ويسرع الى الطاولة ، يصب لنفسه كأساً من الفودكا بيدين راعشتين ، ويبتلعه بسرعة ، ومن ثم يقصد الممر في شبه عدو .) : انه راحل !

ساتين : هاي ، انت ! يا سيقمبر ! الى اين انت ذاهب ؟ (يصفر . يدخل بوبنوف وميدفيديف ، وهذا الاخير يرتدي معطفاً نسوياً محشواً بالقطن . كلاهما سكران قليلاً . يحمل بوبنوف في احدى يديه عقداً من الكعك ، وفي الاخرى عدداً من السمك الداخن ، وقد القى تحت ابطه قنينة فودكا ، بينا تطل قنينة اخرى من جيب معطفه .) .

ميدفيديف : الجمل شيء أشبه بالحمار ، الا انه بدون اذنين . .

بوبنوف : كفى ! انت نفسك شيء اشبه بالحمار .

ميدفيديف : ليس للجمل آذان البتة . . فهو يسمع من خيشوميه .

بوبنوف (الى ساتين) : يا صديقي ! لقد فتشت جميع الحانات

والخمارات باحثاً عنك . اليك هذه القنينـــة . فيداي جميعاً مشغولتان .

ساتين : ضع هذه الكعكات على الطاولة ، فتصبح احدى يديك طليقة . .

بوبنوف : مضبوط ! يا لك من . . . يا شرطي ! انظر اليه فقط ! انه فتى ذكي ، ها ؟

ميدفيديف : جميع اللصوص اذكياء . . أعرف هذا ! والا ما استطاعوا الاستمرار . قد يكون الرجل الطيب غبيـــاً أحمق . لكن الرجل الشرير – ينبغي ان يكون ذكيـــاً حتماً . اما عن ذلك الجمل ، فانت على ضلال . انـــه حيوان جرّ . من غير قرون . . ولا أسنان . .

بوبنوف : اين الجميع ؟ كيف لا يوجد احد هنا ؟ هاي ، هيا ازحفوا ! اني أولم مأدبة ! من هناك في الزاوية ؟

ساتين : كم تحتاج من الوقت حتى تشرب آخر كوبيـــك في جيبك ، ايها الفزاعة العجوز ؟

بوبنوف : لن احتاج الى طويـــل زمن ! فرأس المال الذي ادخرت هذه المرة ليس كبيراً . . . زوب ! اين هـــو زوب ؟

كليش (يدنو من الطاولة) : ذهب .

بوبنوف : غر –ر –ر – ر ! . . . هكذا يفعـــل الكلب ! وف ! وف ! هذا ما يفعله الديك الرومي ! فلا تنبح ولا تهر ! اشربوا ، افرحوا ! ولا تتذمروا ! الدعوة على حسابي هذه الليلة ! ولشدّ ما أحب ذلك ! لو كنت غنياً ، لفتحت خمارة يشرب فيها الجميع بلا مقابـــل !

وحق اللّه ! وفيها فرقة موسيقية ، وجوقة للترتيـل ايضاً . . فيأتيها جميـــــع الناس ، يأكلون ويشربون ويصغون للاغنيات ! روّح عن نفســـــك ! لا مال ؟ اليكم – خمارة لا تتقاضاكم ثمناً ! اما انت ، يا ساتين ، فكنت . . . . كنت اعطيك نصف مالي بالاضافة . هذا ما كنت أفعل !

ساتين : اعطنه كله – في الحال !

بوبنوف : كل ما أملـــــك ؟ في الحال ؟ هاه ! اليـــــك – روبلاً . . . وهذا آخر . . . وعشرين كوبيكـاً . . . وخمسة كوبيكات وسبعة . . . كل شيء !

ساتين : حسناً ! سيكون آمن وهو معي ، سأقامر به .

ميدفيديف : وانا شاهد على ان المال قد اعطي لحفظه . كم المبلغ ؟

بوبنوف : انت ؟ انت جمـــــل . نحن لا نحتاج شهوداً على الاطلاق .

اليوشكا (يدخل عاري القدمين) : يا شباب ! تبللت قدماي !

بوبنوف : تعال بلـّل حلقك ! . . . هذا كل ما انت في حاجة اليه ! انت لطيف . فغناؤك وعزفك رائعان كل الروعة . اما شربك الخمرة – هذا غير جيد . ذلك ضار ، يـــا اخي . الشرب ضار .

اليوشكا : انت مثال جيد . انت لا تشبه مخلوقاً بشرياً الا حين تسكر . كليش ! هل اصلحت آلة الاكورديون ؟ (يغني ويرقص .)

اوه ، لو كنت املك بوزاً
بشعاً قبيحاً كبوز البقة ،
اذن تكبَّرت عليّ
محبوبتي الشقراء !

انني بردان ، يا اخوتي . انني اتجلـ . . . د !

ميدفيديف : هم . . . هل لي ان اسأل من هي محبوبتك الشقراء ؟

بوبنوف : الا تكف عن اسئلتك ! انتهيت الآن يا اخ ! فلم تعد شرطياً بعد الآن . . لست شرطياً ولا عماً ! . . .

أليوشكا : انت – زوج العمة ليس غير .

بوبنوف : واحدى بنات اخيك في السجن ، والاخرى تموت .

ميدفيديف (بفخر) : هذا كذب . فهي لا تموت . انما اختفى أثرها .

(يضحك ساتين)

بوبنوف : الامر سيان يا اخ ! ما دمت قد فقدت ابنتي اخيك ، فأنت لم تعد بعد الآن عماً .

أليوشكا : يا صاحب السعادة ! يا طبَّال الماعز المتقاعد !

محبوبتي – تملك مالاً ،
وانا – مفلّس !

لكنني ما ازال طروباً .
طروباً بشكل مدهش !
الجو بارد ملعون !

(يدخل كريفوي زوب . تبدو وجوه اخرى من الرجال والنساء خلال بقية المشهد . يخلعون معاطفهم ويضطجعون على الدكك المبعثرة وهم يهمهمون)

كريفوي زوب : لماذا هربت ، يا بوبنوف ؟
بوبنوف : تعال هنا ! اجلس ، ولنغنّ اغنية يا اخ ! اغنيتي المفضلة . . . ايه ؟
التتري : يجب ان تناما في الليل . الاغاني تنشد في النهار .
ساتين : لا بأس ، ايها الامير . تعال هنا .
التتري : ماذا تعني بلا بأس ؟ انت تبعث ضجيجاً . تبعث ضجيجاً صاخباً عندما تغني .
بوبنوف (يذهب اليه) : كيف الذراع ، أيها الامير ؟ هل قطعوها ؟
التتري : ولمه ؟ أنتظر . لعلهم لا يقطعونها . فالذراع ليست حديداً عتيقاً ! ومن السهل قطعها لما يحين الحين .
كريفوي زوب : امرك يامان * ، أيها الامير . بذراع واحدة انت لا تصلح لشيء . فالناس من امثالنا لا يساوون الا ما تساويه اذرعهم وظهورهم ، فلا انسان بلا

* يامان — سيئ بالتترية في الاصل . **الناشر** .

ذراع ! لقد انتهى امرك ! تعال ، وتناول جرعـــة . لا شيء غير ذلك امامك !

كفاشنيا (تدخل) : آه ، يا رجالي ، يا اعزائـــي ! الطقس بارد ! المطر ! هل رجلي الشرطي هنا ؟ يا شرطي !

ميدفيديف : هأنذا !

كفاشنيا : لقد اخذت سترتي ثانيـــة ! ويبدو انك تناولت رشفة او رشفتين ، ايه ؟ ما فكرتك من ذلك ؟

ميدفيديف : بمناسبـــة عيد ميلاد بوبنوف . . والبرد ، والمطر . .

كفاشنيا : انتبه جيداً ! المطر ! دعك من الشرب ! تعال الى الفراش !

ميدفيديف (في طريقه الى المطهى) : بلى ، بالامكان الذهاب الى الفراش . اريد ان أنام .

ساتين : ألست . . شديدة الصرامة معه ؟

كفاشنيا : تلك هي الطريقة الوحيدة معه ، يا صديقي . يجب ان نشدد قبضتنا على رجل مثله . عندما اخذتـــه ليعيش معي قلت في نفسي : لعلي احصـــل على بعض الفائدة منه ، فهو في الخدمة ، وانتم عصبـــة مـــن المعربدين . . وكنت انا امرأة بائسة لا حول لي ولا قوة . لكن سرعان ما راح يسكر ، وانا لا أستطيع ان اتحمل شيئاً كهذا !

ساتين : لقد التقطتِ زوجاً بائساً .

كفاشنيا : لم يكن هناك افضل منه . فأنت لن تعيش معي — انت متعال جداً ! وحتى لو فعلت . . . فذلك ما كان

يطول اكثر من اسبوع واحد . . . ولكنت قامرتَ بي في لمح البصر – تقامر بي وبجميع ما عندي من أحشاء .

ساتين (ضاحكاً) : انت على حق ، يا امرأة . كنت قامرت بك تماماً . . .

كفاشنيا : أعرف هذا ! أليوشكا !

اليوشكا : هأنذا !

كفاشنيا : ما هذه الثرثرة التي تنشرها حولي ؟

اليوشكا : انا ؟ انها الحقيقة فقط . لقد قلت : يا لها من امرأة ! معجزة بكل بساطة ! سمن ، عظام ، ولحم – تزن عشرة بودات * ، اما دماغها – فلا يزن اوقية واحدة !

كفاشنيا : هذا كذب . فرأسي تحوي كثيراً من الدماغ . لكن ، لم قلت انني ضربت زوجي الشرطي ؟

أليوشكا : ظننت انك ضربته حين جررتهِ من شعره .

كفاشنيا (ضاحكة) : أبله ! كان يجب ان تتظاهر انك أعمى لا تبصر . لكن ، فيم انت تنشر ثيابنا القذرة كيما يراها الجميع ؟ وخلاف هذا ، فقد جرحتَ شعوره . لقد جعل يسكر بسبب من ثرثرتك . .

أليوشكا : اذن ، هي الحقيقة ما يقولون – حتى الفراخ تشرب .

(ساتين وكليش يضحكان)

---

* البود – مقياس وزن روسي قديم يساوي ١٦,٣ كغ . **الناشر** .

كفاشنيا : اووه ، يا للسانك ! اي صنف من البشر انت ، يا أليوشكا ؟

أليوشكا : أفخر صنف في الوجود ! انا ماهر في اي عمل . وأتبع أنفي ايان يذهب !

بوبنوف (جنب دكة التتري) : تعال ! لن نسمح لك بالنوم على اية حال ! لسوف نغني . . طوال الليل ! زوب !

كريفوي زوب : تغني ؟ هذا حسن . . .

أليوشكا : سأعزف لكم !

ساتين : سنصغي اليك !

التتري (باسماً) : حسناً ، ايها الشيطان بوبنوف . . . صب خمرة . نحن نشرب ونمرح . ولسوف نموت يوم يجيء فيه موتنا .

بوبنوف : املأ له قدحه ، يا ساتين ! اجلس ، يا زوب ! المرء لا يحتاج شيئاً كثيراً ، يا اصدقائي . هأنذا اطفح خمرة واحسّ السعادة ! زوب . . . ابدأ الاغنية – اغنيتي المفضلة ! ولسوف أغني وأبكي !

كريفوي زوب (يغني) :

في كل صباح تشرق الشمس وتغرب . . .

بوبنوف (يشترك معه) :

والعتمة ما برحت تخيّم في زنزانتي . . .

(الباب يفتح بسرعة)

البارون (يصيح من على العتبة) : هاي . . . يا قوم ! تعالوا !

اسرعوا ! لقد شنق الممثل . . نفســـه ! هنالك في الخلاء .

(سكوت مطبق . الجميع يتطلعون الى البارون . تظهر ناستيا من خلفه وتسير على مهلها ، مفتوحـة العينين ، في اتجـــاه الطاولة)

ساتين (بهدوء) : تفو ! . . لقد أفسد الاغنية . . . ذلـــك الاحمق !

ستار